الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحيى -جيجل-

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

حروف العطف ودلالاتها في القرآن الكريم
- سورة البقرة نموذجا -

مذكرة مكمّلة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: علوم اللسان العربي

إعداد الطالبين:
- أحلام لعويسي
- عبد المجيد بوالروايح

إشراف الأستاذ:
- جمال بوسنون

لجنة المناقشة:

1- د/ الحاج قديدح .... **رئيسا**
2-أ/ جمال بوسنون.. **مشرفا ومقررا**
3-أ/ عبد الفتاح جحيش.. **ممتحنا**

السنة الجامعية: 2015/2014 م

بسم الله الرحمن الرحيم

تشكر وعرفان

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا إلى إنجاز هذا العمل

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على إنجاز هذا العمل وفي تذليل ما واجهناه من صعوبات، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف "جمال بوسنون " الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عونا لنا في إتمام هذا البحث

شكرا.

مقدمة

مقدمة:

نشأت الدّراسات النّحوية وشبّت في حضن القُرآن الكريم؛ فبعد نزوله وتوّسع الفتوحات الإسلاميّة، وولوج الأعاجم في دين الله أفواجًا، فشا اللّحن ففسدت الألسن؛ ولذا كان لزامًا على علماء اللّغة العربيّة أنّ يتصدَّوا لهذه الظّاهرة قبل أنْ تصيرَ إلى القرآن الكريم؛ ولعلّه من الأبواب الّتي نالت قسطًا وافرًا من هذه الدّراسة باب الحروف عامّة، بدليل أنّ معظم النماذج التي جاءت في كتب النّحو مُستشهَدا بها على انتشار ظاهرة اللّحن، كانت مندرجة ضمن باب الحروف نظرًا لِمَا لَهَا من دور في تحديد الحركة الإعرابيّة لِمَا دخلت عليه هذه الحركة الإعرابيّة الّتي يُعدّ الخطأ فيها هو ما اصْطَلح عَليه النّحاة باللَّحن، بل إنَّ هذه النّماذج الّتي ساقَها النّحاة كانت أحد المحَفِّزَات المباشرة على وَضع القواعد للنّحو بناءً على مَا سَبق؛ ولأهميّة حروف العطف في الرّبط والدّلالة وقع اختيارنا على هذا الموضوع العام والموسوم بـــ:

"حروف العطف ودلالاتها في القرآن الكريم- سورة البقرة نموذجا-"

فقد وقع اِختيارنا – إذن- على حروف العطف دون غيرها، لما تنطوي عليه من أهميَّة في الرّبط بيْن وحدات النّص العربي؛ بحيث تجعل أوصاله مُتماسكة، ومراميه مفهومة، كما تُسَاهِم في استطالة حَجم النَّص وتقليصه حسَب مَا يقتضيه المقام.

أمَّا التّركيز على الجانب الدّلالي فيها – وهو الأهمّ- فكان بسبب تعدّد معاني الحرف الواحد وتداخل معاني الحروف فيما بينها، وهي كلّها معانٍ تخدم النّص وسِيَاقه، خاصّة وأنَّ الدّراسات اللّسانية الحديثة أوْلت أهميّة كبيرة لموضوع الدّلالة.

وأمَّا اختيار النّص ممثلا في سورة البقرة مجالاً للدّراسة التّطبيقية، فذلك لكون القرآن الكريم دُستور العربيّة ومَرجعها الأساس، وقد كانت سورة البقرة الأنْسب لهذه الدّراسة كونها أطوَل سُور القُرآن الكريم، وبالتّالي إمكانية توفّرها على أغلب أنواع حروف العطف – إنْ لم تكن جميعا- خاصّة أنَّ مواضيعها متنوعة، الأمر الذي يستدعي التّنوع في الحروف.

ونحن بصدد الشّروع في الموضوع، فإنَّ ما تَجدرُ الإشارة إليه أنّنَا لم نكن السَّبّاقين إليه، بل تناولَه الكثير من البَاحثين ممّا يدلّ على أهميته ورحابة أسراره وتشعُّب مآلاته، ومِن هؤلاء نذكر:

1- مصطفى حميدة في كتابه: أساليب العطف في القُرآن الكريم.

2- عفّت الشرقاوي في كتابه: بلاغة العطف في القُرآن الكريم.

3- المرادي في كتابه: الجنَى الدّاني في حروف المعَاني.

إنَّ الدّوافع الباعثة للكتابة في الموضوع –قيد البحث- قد أمْلتها اعتبارات شَخصيّة مثّلتها الرّغبة في مصاحبة النّص القُرآني، وأخرى مَوْضوعيّة تتمثّل في السّعي للاطّلاع على دقائق هذا الموضوع وتطْبيقاتِه في الأسلوب القُرآني المعْجِز.

كما أنَّ الأخطاء الّتي نراها في مختلف الرّسائل، والجَرائد، والبحوث الأكاديمية واللاّفتات المرفوعة في الشوارع والمحلاّت، والأخطاء المردّدة على ألسنة التّلاميذ، وخطباء المسَاجد كانت دافعا لنَا لاستكشاف أسباب هذا العوج الحاصل على الألسنة، ولهذا جاء بحثنا ليُجيب عن جملة أسئلة يمكن إِجْمالها في النّقاط الآتية:

1- كيف يتجلَّى دور السَّياق والقرائن في توجيه معاني حروف العطف؟

2- ما هو دور حروف العطف في توجِيه الدّلالة العامّة نحو منْحًى معيّن؟، ومَا تِلك الطّاقة الكامِنة الّتي يتوفَّر عليها حرف العطف وهو يؤدّي معاني مختلفة، بل وهو يشارك حروف عطف أخرى في بعض معانيها الّتي اِستأثرت بها، ومِنه الوصول إلى الوسَائل التّي يُمكن من خلالها التّفريق بْين وظائف كلّ مِنها؟

3- هَلْ أصاب النّحَاة المحدثون فيما دعَوا إليه من تيسير النّحو؟

4- هَل اعتبار التّرتيب الّذي جاءت عليه حروف العطف عند النّحاة ترتيبا عشوائيا؟، وعليه هل يمكن الاستغناء عنها أو عن بعضها؟، وفي حَال حدوث ذلك، هل يستقيم هيكل النّص ومعناه؟

وفي سياق البحث عن إجابات مقنعة عن هذه التّساؤلات قسّمنا العمل على ثلاثة فصول، كلُّ فصل يندرج تحته مبحثان، فضلا عن المقدّمة والخاتمة.

أمّا الفصل الأوّل فخُصّص لضبط المصطلحات وتحديد مفاهيمها، هذا في المبحث الأوّل، وفي الثاني ذُكرت أقسام حروف العطف وأحكامها من حيث التّشريك والتّفريق.

وأمّا الثّاني فتمّ التّعرّض فيه لمعاني حروف العطف، وبعض الحالات الّتي تُحذف فيها والأخطاء الشّائعة في اِستعمالها، ومواقف النّحاة المحدثين من درس العطف.

في حين خصّصنا الفصل الثالث لعمليّة الجرد لحروف العطف الواردة في سورة البقرة، وقراءة النِّسب الخاصّة بعدد تكرارات كلّ حرف إضافة إلى تقديم نماذج محلَّلة لآيات من سورة البقرة، رُوعي فيها التّنوُّع في الحروف وفي دلالاتها قدر الإمكان.

ومِن حيث المنهج المتبع فقد اتّبعنا في دراستنا هذه المنهج الوَصْفي التحليليّ مدعَّما بإجراءات إحصائيّة. ولم يكن ذلك في الحقيقة اعتباطا بقدر ما كان تماشيا مع طبيعة البحث.

وقد واجهتْنا جملة صعوبات يمكن حصرها فيما يأتي:

- كثرة المادة المتعلقة ببعض النقاط وشُحّها في نقاط أخرى أحْدث بعض التشويش في اختيار الأنسب منها، وكذا صعوبة الموازنة بين العناصر.

- صعوبة البحث عن المادّة المرغوب فيها في فهارس الكتب النّحوية التراثية.

- خُلوّ رفوف المكتبة الجامعيّة من بعض العناوين الّتي تخدم بحثنا، بالرغم من تواجد عناوينها في القائمة الببليوغرافية.

- عدم التّفصيل في دلالات حروف العطف فيما وقفنا عليه من كتب التفاسير، ممّا صعّب المهمّة أكثر.

- عدم كفاية الفترة المخصّصة لإنجاز مثل هذه البحوث.

وفي الأخير، نشكر الأستاذ جمال بوسنون وأعضاء اللّجنة الذين سيتفضّلون بمناقشة هذا العمل المتواضع، دُون أن ننسى جميع أعضاء الطّاقم الإداري والبيداغوجي لكليّة الآداب واللّغات بعامّة وقِسم اللّغة والأدب العربي بخاصّة، وكلّ مَن مدّ لنا يَدَ المساعدة من قريب أو بعيد.

الفصل الأول

الحرف والعطف والدّلالة

المبحث الأوّل: تعريف الحرف والعطف والدّلالة

المطلب الأول: الحرف، لغة واصطلاحًا

المطلب الثاني: العطف، لغةً واصطلاحًا

المطلب الثالث: الدّلالة لغة واصطلاحًا

المبحث الثاني: حروف العطف أقسامها وأحكامها

المطلب الأوّل: حروف العطف المفيدة للتشّريك وأحكامها

المطلب الثاني: حروف العطف المفيدة للتشريك أو التفريق وأحكامها

بعد أَنْ توسَّعت رُقعة الفتوحات الإسلامِية خشي العرب من تفشّي اللّحن بين المسلمين جرّاء اختلاطهم بالأعاجم، فاستفزّهم الأمر فأسرعوا إلى ضبط قواعدَ تؤصّل للعربية وتحفظها من الخطأ؛ فظهر ما يُعرف بعلم النّحو الذي اهتمّ بأحوال الكلمات العربية تركيبيا؛ ونظرا لرحابته فقد أفردوا له عِدّة أبواب منها: باب التوابع والذي حصروه في خمسة أنواع وهي: النعت، والتوكيد، والبدلُ، وعطف البيان، وعطف النسق. ومن خلال هذه التقسيمات نلحظ أنّ مصطلح العطف أُستعمل في نوعين من التوابع وهما: عطف البيان وعطف النسق، وجاء هذا التباين نِتاج الخلافات بين نحاة البصرة ونحاة الكوفة، كما سيأتي بيانه.[1]

والذي يهمنا دراسته في باب التوابع هو "عطف النسق" رغبة في معرفة سبب الإعراب فيه، وما يدلّ عليه من معنى أو معان.

هذا الإعراب - الّذي يتوزّع بين الرّفع والنّصب والجرّ والجزم - لا ينشأ إلاّ بواسطة عامل وهو حرف العطف، هذه الحروف- وهي تتوسّط رُكنَي العطف- تُحدِث معنى أو معان مختلفة حسَب السياق، وحسَب نوع الحرف، ولا تعمل إلا بشروط هي بمثابة أحكامٍ.

[1] ينظر: هذا البحث، ص 5، 6، 7.

المبحث الأوّل: تعريف الحرف والعطف والدّلالة

المطلب الأول: الحرف، لغة واصطلاحًا

تنقسم الكلمة العربية إلى ثلاثة أقسام: اسم، وفعل، وحرف.

قال ابن مالك في ألفيته:

كَلَامُنَا لَفْظٌ مُفيدٌ كاسْتقمْ   اسْم وفِعْلٌ ثُمّ حرفُ الكَلِمْ[(1)]

والحروف متعدّدة ومتنوّعة منها: حروف العطف (النّسق)، ولهذه الأخيرة أهمية كبيرةٌ في أداء وظيفة الرّبط في الجملة العربية، حيث تعطي دلالاتٍ خاصةً يكشف عنها السّياق الواردة فيه.

1- الحرف لغة:

جاء في لسان العرب:

" والحرْفُ في الأصل: الطّرَفُ والجانبُ، وبه سُمِّيَ الحرْفُ من حروف الهجاء [...]، وحرْفَا الرّأس: شِقَّاهُ، وحرْفُ السَّفينة والجَبل: جانبهُما، والجمع أحْرُف وحُروفٌ]قال الجوهَريّ: حَرْفُ كلّ شيء طَرَفُهُ، وشَفِيرهُ وحدُّه، ومنه حَرْفُ الجبل وهُو أعْلاهُ المحدّدُ"[(2)].

وجَاءَ في القَاموس المحيط:

" الحَرْف من كلّ شيء: طرفه وشفيرُهُ، وحدّهُ، وحرفٌ من الجَبل: أعلاه المحدّد [...]، وحَرَفَ الشّيءَ عن وَجْهِهِ: صَرَفَهُ [...]، ويُحرِّف القلوب: يُميلُها، ويَجْعلهُا على حَرْف أيْ على جانبٍ وطرَفٍ[(3)]".

كما جاء في المعجم الوسيط المعنى نَفْسُهُ، وفيه:

" الحرْفُ من كلّ شيء: طرَفه وجانبه، ويقال: فلان على حرْف من أمره: ناحية منه إذا رأى شيئًا لا يعجبهُ عدَل عنه. وفي التّنزيل العزيز:﴿ومن النّاسِ مَنْ يَعبُد الله على حَرفٍ﴾[(4)]. أي يَعبُد على السّراء لا في الضّراء"[(5)].

---

(1) صبيح التميمي، هداية السّالك إلى ألفية ابن مالك، مُراجعة: فاتح زقلام ونوري شرينةٌ، إدارة المطبوعات والنشر، جامعة الفاتح- طرابلس-ليبيا، ط1، 1988 ، ج1، ص08.

(2) ابن منظور محمد الإفريقي، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هشام محمد الشاذلي، دار المعارف-القاهرة- مصر، د.ط، د.ت،ج9، مادة (ح، ر، ف).

(3) الفيروزآبادي، مجد الدّين محمد يعقوب، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية-بيروت- لبنان، د.ط،1871م،مادة (ح، ر، ف).

(4) سورة الحج، الآية 11.

(5) مجمع اللغة العربية، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، المعجم الوسيط، دار الدعوة، الشروق الدولية- القاهرة- مصر، ط4، 2004، مادة (ح، ر، ف).

وجاء في مُخْتَار الصّحَاح للإمام الرّازي:

حَرفُ كلّ شيء طرَفُهُ وشَفِيرهُ وحدُّهُ، والحرفُ واحدُ حُرُوف التّهجّي وقالوا على وجْهٍ واحد وهو أنْ يَعبُدهُ في السّرّاءِ دُون الضَرّاء[1].

ونلاحظ هنا أن هذه التعريفات تكاد تكون متطابقة لفظا ومعنىً.

2- الحرف اصطلاحًا:

يقولُ الزّجّاجيّ: الحَرْفُ ما دلَّ على مَعنًى في غَيره ،نحو: مِنْ وإلى وثُم، ومَا أشْبَه ذلك، وشرْحُه أنّ (من) تَدخُل في الكلام للتَّبعيضِ، فهي تدلّ على غيرها، لاَ على تبعيضها نَفسِها [...]، وقال بَعضُ النّحويّين: الحرْف لا يسْتغني عن جُملة يقوم بها نحو: لن يقوم زيدٌ، وما خرج بِكرٌ [...]، لا بدّ أن يكون بَعدهُ اسْمَان أو اسم وفعل أو اسم وظَرْف."[2]

وعرَّفهُ ابن تيمية- أحدُ عُلماء الأصول- فقال: " ولَفْظُ الحرف يُرَادُ به الاسم والفعل، وحروف المعاني... واسم حروفُ الهجاء، ولهذا سَأَلَ الخليلُ أصحابَه: كيف تَنطِقون بالزّاي من زيد؟ فقالوا: زاي، فقال: نطقتم بالاسم، وإنّما الحرف (زَه)، فبيّن الخليل أنّ هذه التي تُسمّى حروف الهجاء هي اسمٌ"[3].

ويعرّفهُ عبّاس حَسَن" الحرف: كلمةٌ لا تدلُّ على معنى في نَفسها، وإنّما تدّل على معنى في غيرها- بعد وضعها في جملة- دلالة خالية من الزّمن."[4]

وقد تعدّدت تَعْريفات الحرف، فاعتبروه ما سِوى الفعل والاسم، والبَعضُ الآخر سمّاهُ أداةً، ومنهم مَنْ سمّاهُ وَصْلةً.

ورغم التّعريفات التّي قدمّها القدامَى بِغَرَضِ وضع حدٍّ للحرف، إلاَّ أنّ بعض المحْدَثِين رأوا في ذلك نقيصة وتقصيرًا، فها هو عزالدّين مجذوب يُوفد رأي إبراهيم أنيس قائلا: " أمّا باب الحرف فقد رأى إصَابتهم فيه كانت أقل [...] وأنّ فكرة الحرْفية غامضة في أذهان النّحاة لأنّهم لا يكادون يُجرّدونَها من المعاني ويَنْسِبون معناهَا إلى غيرها من الأسماء والأفعال."[5]

---

[1] الرازي فخر الدين عبد القادر، مختار الصحاح، تح: حمزة فتح الله، مؤسسة الرسالة –بيروت- لبنان،ط3، 2009م، مادة (ح، ر، ف).

[2] الزّجّاجي أبو القاسم عبد الرّحمن، الإيضاح في علل النحو، تحق :مازن مبارك، دار النّفائس–بيروت- ط3، 1979، ص 54، 55.

[3] مجموع الفتاوى[62/12]، نقلا عن : الشجيري هادي أحمد فرحان، الدراسات اللغوية والنحوية في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية، دار البشائر –بيروت–لبنان، ط1، 2001م، ص415.

[4] عبّاس حسن، النّحو الوافي، دار المعارف–القاهرة- مصر، د.ط، د.ت،ج1، ص 68.

[5] عز الدّين مجذوب، المنوال النّحوي العربي "قراءة لسانية جديدة"، دار محمد علي الحاجي، تونس، ط1، 1998، ص 184.

والمقصود من كلام القُدامى بشأن فكرة الحَرْفِيَّة-كما يرى إبراهيم أنيس- هو أنَّ الحرف في التركيب لا يؤدي وظيفةً إلاّ بتواجد كلمات أخرى كالأسماء والأفعال عَادَةً، أمَّا تداخل معاني بعض الحروف فيما بينها فإنّ السّياق هو الذي يزيل هذا الإبهام والغموض، بل إنّ بعض الحروف يمكنها أنْ تُشير إلى المعنى المقصود وهي مُنفردةٌ.

المطلب الثاني: العطف، لغةً واصطلاحًا

1- العطف لغة:

لقد تعدّدت تعريفات العطف لغة بتعدّد نظرة اللّغويين والنّحاة - القدامى منهم والمحدثين- إليها مع الإشارة هنا إلى أن مجيئها في القرآن الكريم نادرٌ.

يقول مصطفى حميدة: «لم تَرِدْ مادّة (ع، ط، ف) في القرآن الكريم إلاَّ في موضع واحدٍ هو قوله تعالى: ﴿ثانِيَ عِطْفِه ليُضلَّ عَنْ سَبيلِ الله﴾[1] رُويَ عن ابن عبّاس- رضي الله عنهما- أنّه قال: وهو النّضرُ بن الحارث لوى عُنقَه مَرَحًا وتعظُّمًا"[2].

وجاء في لسان العرب لابن منظور:

"عَطَفَ، يعْطِفُ، عَطْفًا: انصرف[...] وعَطَفَ عَلَيه يَعطفُ عَطْفا: رَجَع عَلَيهِ بمَا يكْره، أَوْلَهُ بما يُريدُ. وتَعَطَّف عليه: وَصَلهُ وَبرَّهُ. وتعطَّف على رَحِمِهِ: رقَّ لها، والعاطِفة: الرَّحيمُ، صفةُ غالبَةٌ. ورَجلٌ عاطِف وعَطوفٌ: عائد بفضْلهِ حَسَنُ الخُلُق.[...] وعطَف الشيء يَعطِفه عَطفًا وعُطُوفًا فانْعطف، وعَطفَهُ فتعطَّفَ: حَناهُ وأمَالَهُ وشُدِّدَ للكَثرة. ويقال: عطفتُ رأسَ العود فانعطف أيْ حَنيْتُه فانحنى، وعَطفْتُ أي مِلْتُ"[3].

وعرّفَهُ الزّمخشري في أساس البلاغة:

"عَطَفَ: عطفت عليه عُطوفًا، وعَطف الله تعالى عليه عطفًا، وفلانٌ أهلٌ أن يُعطَف عليه ويُتَعطَّفُ [...] والرّجُل يَعطفُ الوِسادة: يُثْنِيهَا فيرتَفِقُهَا"[4].

---

[1] سورة الحج، الآية 09.

[2] مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم، الشركة العالمية للنشر لونجمان، ط1، 1999م، ص 18.

[3] ابن منظور، لسان العرب، ج33، مادة (ع، ط، ف).

[4] الزّمخشري محمود بن عمر، أساس البلاغة، تح: عبد الرحيم محمود، درا المعرفة- بيروت - لبنان، د.ط، د.ت، مادة (ع، ط، ف).

أمّا ابن فارس فعرّفَهُ في مُعجم مقاييس اللّغة:

"يُقال: عطَفت الشيء إذا أَمَلْتهُ، والرّجل يَعطف الوسادة: يُثنيها [...] والإنسان يتعطّف بثَوبه، وهو شبيهُ التّوشّحِ والرِّداءُ نَفْسه عِطاف، لأنّه يَعطِف"[1].

ويلاحَظ من خلال ما ذُكر أنّ دلالة العطف تدور حول الميل، والرّجوع، والثّني والانْحَناء.

2- العطف اصطلاحًا:

العطف عنوان رئيسٌ يضمُّ مصطلحين فرعيَين على سبيل الإضافة هما: عطف البيان وعطف النّسق، فقد جاء في ألفية ابن مالك:

العَطفُ إمّا ذُو بَيَان، أو نَسَق   والغرضُ الآن بيانُ ما سَبَق[2]

ولم تكن علّة تسميتِهما كذلك عَرَضًا، فقد" سُمّيَ عطَفُ البيان عطفًا لأنّ المتكلّم رجَعَ إلى الأوّل فأوْضَحَهُ به، وسُمّيَ عطفُ النّسق عطفًا لأن المتكلم رَجَعَ إلى الأول فأشرَك مَعَهُ آخر في حُكمه بواسطةِ حَرْفٍ من حروف العطف"[3].

ومِنه يُدرَك أنّ الذّي جعل عطف البيان يُدرَجُ خارج مجال عطف النّسق هو ذلك التّباين في علاقته بالمتبوع من حيثُ اللّفظ والمعنى، وإذا كان النّحاةُ قد ألحقُوهُ بباب التوابع فإنّهم وصفوهُ بأنّهُ:" التّابعُ الجامد الموضِّح لمتبوعه في المعارف، المخصصّ له في النّكرات"[4]، بل نجد من المحدَثين من ينفي وظيفة العطف عنه بحُجة أنّه يؤدّي وظيفة تابع آخرَ، وبذلك يستحق تَسْمية أخرى" إذ لا تشريك فيه، وحقّهُ أنْ يُسمى "البيان" فهو تابعٌ لأنّه يؤدّي وظيفة النّعتِ فهو بمنزلته"[5].

وقد تعّددت مصطلحاته بين النّحاة، حيث أسْماهُ سيبويه: الصّنعَة، التكرير، العطف، وسمّاهُ، الفرّاء: التفسير الترجمة، وهما مصطلحان كوفيان.[6]

أمّا عطف النّسق وهو المقصود بقولهم: (العطف)، فقد تعدّدت تعريفاته، كما تعدّدت مصطلحاته أيضًا وأشهر تعريف له في عُرف النّحويين أنه " تَابعٌ يتوّسط بينَهُ وبين متبوعهِ حرف من حروف العطف"[7]. وقد

---

[1] ابن فارس أبو الحسن بن زكريا، مُعجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السّلام هارون، دار الفكر، د.ط، 1979م، مادة (ع،ط،ف).

[2] صبيح التّميمي، هداية السّالك إلى ألفية أن مالك، ج1، ص 253.

[3] عصام عبد المنصف أبو زيد، فاعلية المعنى النّحوي في بناء الشعر، دراسة نَصّية في التوابع، دار غريب- القاهرة- مصر، د.ط، 2010، ص 132.

[4] محمد محي الدّين عبد الحميد: التُّحفة السّنيّة بشرح المقدمة الآجَرُّومية، المكتبة العصرية-بيروت- لبنان، د.ط، 2002، ص115.

[5] مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص 36.

[6] ينظر: المرجع نفسه، ص13.

[7] الأندلسي أبو حيّان، ارتشاف الضّرب من لسان العرب، تح: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي- القاهرة- مصر،ط1، 1998،ج1،ص1975.

جاءت تعريفاتهُ متقاربة في مُجملها؛ إذْ عرَّفَه ابن عصفور مفصّلاً: " وهو حَمْلُ الاسم على الاسم، أو الفعل على الفعل أو الجملة على الجُملة، بشرط توّسطِ حرف بَينهما من الحروف الموضوعة لذلك"[1]، وإذا كان النّحويّون قد ركّزوا في إعطائهم حدًا لعطف النّسق على عُنصرَي، التبعيّة وحروف العطف، فإنّ البلاغيين كذلك كان لهم اهتمام به شبيه بما ذهب إليه النّحويُّون، إلاّ أنّهم زادوا عليهم في ذلك بأنْ أَضْفَوا عليه سِمةً بلاغيّة، حيث عرّفه الجرجاني بأنّه: " تابع يَدّلُ على معْنًى مَقْصودٍ بالنّسبة مَعَ متبوعه يتوسّط بينَهُ وبَينَ متبُوعه أحد حروف العَطف"[2].

وفي نفس الاتّجاه ذهب أحد المحْدَثين فعرّفه بأنّه:" الرّبط بحرفٍ بين معنييْن مُتغايريْن لتلخيص عِلاقة سياقيّة مُصطنعة بينها هي: التشريك في الحكم، أو نِسبة الحُكم إلى أحدهما أو الدّلالة على حصول مضمون المعنيين"[3].

أمّا بالنسبة لمصطلحاته فقد ذهب النّحاةُ مذاهب شتّى؛ فَعُرِف بمصطلح العطف وأطْلقَ عليه سيبويه مصطلحات عدّة: كالشّركة والاشتراك، والمشاركة والتثنيّة والرّدّ، أمّا أبو عبيدةَ معْمر بن المثنىَ فسمّاهُ: الموالاة وأمَّا الجرجاني فاختار له مصطلحَي: الارتباط والتّعليق، في حين نجد الفرّاء اختار لَهُ تسميات هي: النسقُ الإتباعُ الكرُّ، وهناك من أطلق عليه تسمية المعطوف بالحرف، أمّا البلاغيون فاعتبروه وَصْلا.[4]

وإذا تأملنا هذه المصطلحات فإنّنا نجدها – في مجملها – تكادُ تَفيِ بالغرض إلاَّ أنّ مصطلح النّسق يبدو أنّه الأنْسب لما تحملهُ هذه اللفظة من دلالات توحي بالنّظام والترتيب والدّقة والشّيوع عَكس بقيّة المصطلحات الأخرى، والفضل في ذلك يعودُ إلى البغداديين* الّذين تبنّوهُ رغم كونه مصطلحًا كوفيًّا خالصًا.

وفي هذا الشأن يرى الدّكتور مصطفى حميدة:" أنّ الكوفيين حين اختاروا كلمة النّسق كانوا يقصدون بها دلالة أخصّ وأدقّ ممّا تُفيدهُ كلمة العطف دلالة مستمدة من معاني: المتابعة، والتنظيم، الاستواء، فالمعنى الذي قصدهُ الكوفيّون بكلمة: النّسَق هو المتابعة بين المعاني المنْفصلة وتنظيمُها في عبارة واحدة مترابطة ذات معنى متكامل[5].

ومنه يُدرَكُ أنَّ المدرسة الكوفيّة التي قيل عنها أنّهَا ما وُجِدت إلاّ لكي تُعارض المدرسة البصرية فيما ذهبت إليه، قد أصابت في بعض من المصطلحات التي أتت بها والآراء التي تبنّتها.

---

[1] ابن عصفور علي بن مؤمن، المقرّب، تح: أحمد عبد الستار الجبوري، ط1 ، 1972م، ج1، ص229.

[2] الجرجاني علي الشّريف، التّعريفات، مكتبة لبنان -بيروت-لبنان، د.ط، 1978م، ص 341.

[3] مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص 31.

[4] المرجع نفسه، ص10-13.

* إشارة إلى مدرسة بغداد في النحو.

[5] مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص 22.

المطلب الثالث: الدّلالة لغة واصطلاحًا

لقد شغلت الدّلالة بال النّحاة والبلاغيين والأصوليين، حيث وظّفها كلٌّ في اختصاصه وأعطَوها تعاريف مُتقاربةً وإن اختلفت تِبعًا للمسلك الذي انتهجهُ كل فريق في دراسته.

1- الدّلالة لغة:

جاءت كلمة "دلّ" في القرآن الكريم في سورة سبأ قال تعالى:﴿ مَا دَلّهم عَلىَ مَوتهِ إلاّ دَابةُ الأرْضِ﴾[1]

وجاء في معجم مقاييس اللّغة:

" (دلّ): الدَّال، واللاّم أصلان أحدُهما بإنابة الشيء بِأَمارة تتعلّمها، والآخر اضطرابٌ في الشيء، فالأوّل قولهم: دلَّلت فلانًا على الطّريق والدّليل: الأمَارة في الشَيء وهو بيّنُ الدَّلالةِ والدِّلاَلةِ"[2].

وجاء في لسان العرب لابن منظور ما يفيد المعنَى نفسه، وفيه:

"وقد دَلّهُ على الطّريق، يَدُلّهُ دَلاَلَة، ودِلاَلةً ودُلُولَةً، [...] والدّليل والدِّلِّيلَى: الّذي يدلُّك [...]ودلَلْتُ بهذا الطّريق: عَرَفْتهُ"[3].

وجاء في معجم مختار الصّحاح للرازي:

دَلَلَ، الدّليلُ: ما يُستدلُّ به والدّليلُ الدّال أيضًا وقدْ (دلّه) على الطّريق يَدُله بالضّم (دلالة) بفتح الدّال وكسْرِها"[4].

2- الدّلالة اصطلاحا:

تعدّدت التعريفات الاصطلاحية للدّلالة بين مستخدميها من نحويين وبلاغيين وأصوليين المتقدمين منهم والمتأخرين، فقد اهتم بها النّحويون لما لها من عَلاقة وطيدة بالدّرس النّحوي وإن كانوا قد استعملوا مصطلح "المعنى" بديلاً عنها حيث يعرّفها الجرجاني بأنّها:" الصّورة الذّهنية من حيث أنّه وُضع بإزائِها اللّفظ، أيْ من حيثُ أنّها تُقصَدُ من اللّفظِ وذلك إنما يكون بالوضع، فإن عُبّرَ عنها بلفظ مُفرد سُمي مفردًا، وإنّ عُبّر عنها بلفظ مركَّب سمّي معنى مُركبًا؛ فالإفراد والتركيب صفتان للألفاظ حقيقةً، وتوصف بهما المعاني تِبعًا"[5].

---

(1) سورة سبأ، الآية 13، 14.

(2) ابن فارس أبو الحسن أحمد زكريا، معجم مقاييس اللّغة، ص 259، (مادة دَ، لَ، لَ).

(3) ابن منظور، لسان العرب، ج02، (مادة دَ، لَ، لَ) .

(4) الرّازي زين الدّين، مختار الصّحاح، (مادة دَ، لَ، لَ).

(5) الجرجاني محمد الشريف، التعريفات، ص 109.

وقد تناولهَا البَلاغيُّون فعرّفهَا محمد الشريف الجرجاني-كما نقل عنه التَّهانوي- بأنها: " كَونُ الشيء بحالة يَلزَمُ العِلمُ بهِ العِلْمَ بشيء آخر، والشيءُ الأوّلُ هو الدَّالُ، والثاني هو المدْلُول"[1].

ولم يشذّ علماء أصول الفقه في ذلك عن القاعدة، بعدمَا أدركوا أهميتها في الكشف عن مقاصد الشّرع واستنباط الأحكام الفقهية، فأوْلَوْها عِناية كبيرة، بل تشدّدُوا في ذلك وجعلوا وجوب الإلمام بها شرطًا يجب توفّره في الأصوليّ؛ من خلال الاهتمام بمعاني الألفاظ والأدوات؛ فهي عندهم ترادف المعنى "والمعنى هو الغاية التي وُجدَت من أَجلها الألفاظُ فهو القصْد والمراد وإنّما يَقَعُ البيانُ عَنه باللّفظ"[2].

والدّلالة عند المحدثين كذلك هي " المعنى، ويُقابلُهَا بهذا المفهوم المصطلح الغربي" Meaning "، وهي فهمُ أمْر من أمر أوْ فهمُ شيء بواسطة شيء، فالشيء الأولّ هو المدلول والثاني هو الدّال"[3].

ومن خلال التعريفات سّالفة الذّكر نلحظ أنّ مصطلح الدّلالة كان المادة الأولية التي اشتغل عليها الجميع لكن كلّ فريق طوّعَها حسب ما يخدم اختصاصهُ، وإنْ كان بعضهم اعتبرها بمنزلة المعنى، هذا الأخير الذّي استقلّ بنفسه وصار علمًا قائمًا بذاته، إلاّ أنّهما يلتقيان في علاقتهما الوطيدة باللّفظ الذّي هو بمثابة الوعاء الذّي يَجمعُهما.

---

(1) التّهانَوي محمد بن علي، كشّاف اصطلاحات الفنون، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط1، 1998م، ص 306.

(2) الشجيري هادي أحمد فرحان، الدراسات اللّغوية والنحوية في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وأخرها في استنباط الأحكام الشرعية، دار البشائر -بيروت- لبنان، ط1، 2001 م، ص 58.

(3) الفاخري صالح سليم عبد القادر، الدّلالة الصّوتية في اللغة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية – القاهرة – مصر، ط1، 2007، ص 25.

المبحث الثاني: حروف العطف أقسامها وأحكامها

المطلب الأوّل: حروف العطف المفيدة للتشّريك وأحكامها

اختلف النّحاة في عدد حروف العطف فجعلها أغلبهم عشرة أحرفٍ وهي: (الواو، الفاء، ثم، حتى، أم، أو بل، لكن، إمّا، لا)، وهناك من عَدّها أحدَ عشَر حرفًا بإضافة (لاَ بَلْ)، أمّا جمهور الكوفيين فزادوا على ذلك بإدراجهم (أيْ، كيف، لولا، هلاّ، أيْن، متى، لَيس)، وقلّة قليلة جعلتها تسعَة.

وقد قسَّم النحاة هذه الحروف من حيث اللفظ والمعنى (الحكم والإعراب) إلى حروف مُشرِّكة، وأخرى مُفرّقة وقِسْمٌ منها يجمع بين النّوعين السّابقين، أي بين المشرِّكة والمفرّقة.

وهناك عدد غير قليل من النّحاة – وإن لم يكونوا أغلبية- حصروها في الستة المتقدمة، يقول ابن عَقيل:

" فالعطف مطلقًا: بواوٍ، ثمّ، فـــا حتى، أمَ، أو، كـ"فيك صدقٌ ووفـا" [1].

أمّا بقيّة الحروف فقد اختلفوا في كونها مفرّقة أو جامعة بين التشريك والتفريق، وبشأن أحكامها، فالمشهور عنها أنّ الكثير منها كان مع الحروف المشركة، في حين قلّ مع البقية الأخرى أو انعدم تمامًا مع بعضها.

1- أحكام الواو:[2]

- تعطِف المفردات والجُمل ومثال ذلك في المفردات: (جمع مُحاضَرات "دي سوسير" تلميذاه "شارل بالي" و" آلبير سيشْهاي").

- اقترانها بـ"لكن" نحو: (ما سقط الثلجُ ولكن المطرُ).

- اقترانها بـ" إمَّا " نحو: (تخَصَّصْ إمّا مصطلحيةً وإمّا نقدًا).

- اقترانها بـ "لا" إذا سُبقت بنفي نحن: (ما جاءَني محمدٌ ولا سعيد).

- عطف العقد على النّيف نحو (واحدٌ وعشرون).

- عطف ما لا يُستغنى عنه نحو: (اختصم الفرزدق وجرير) ولو قلت (اختصم الفرزدق) لم يَجزْ.

- عطف الشيء على نفسه أو مرادفه، بشرط زيادة فائدة في المعطوف ليست في المعطوف عليه، نحو قوله تعالى: ﴿فلِلّه الحمد ربِّ السّموات وربّ الأرض ربّ العالمين﴾ [3].

---

(1) ابن عَقيل بهاء الدين عبد الله العقيلي، شرح ابن عَقيل ، تح: ح. الفاخوري، دار الجيل – بيروت- لبنان، د.ط، د.ت، ج2، ص 233.

(2) ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص560- 569.

(3) سورة الجاثية، الآية 36.

ـ ومن أمثلة عطف الشّيء على نفسه قوله تعالى:﴿إنّما أشْكو بَثّي وحُزني إلى الله﴾[1].

ـ عطف العام على الخاص نحو قوله تعالى: ﴿ولقد آتَينَاك سَبْعًا من المثاني والقرآن العظيم﴾[2].

ـ عطف الخاصّ على العام نحو قوله تعالى: ﴿حافِظوا على الصّلوات والصّلاة الوسطَى﴾[3].

وأَوردَ آخرون أحكامًا أخرى غير هذه، كالعطف بها في أسلوب الإغراء والتحذير، وعطف النّعوت المتعدّدة المفرّقة التي مَنْعُوتها متعدّدٌ غير مُفرّقٍ، وعطف المفردات التّي حَقّها التشبيه أو الجمع، وعطف كلمة "أَيْ" على مثلها، والظرف على نظيره، ومنها جواز عطفها عاملاً قد حُذف وبقى معموله، ويرى الكوفيون أنّه من بين خصائص الواو أيضًا وقوعها زائدة، نحو قوله تعالى: ﴿حتَّى إذَا جاؤوها وفُتِحَت أبْوَابها﴾[4]، (الواو قبل فتحت).

2- أحكام الفاء:

ومن أشهرها:[5]

– تعطف المفردات والجمل نحو: (اجتَهَد فَنَجَحَ)، على سبيل عطف جملة على أخرى.

– جواز حذفها بقرينة نحو: (قطعت سنوات التّعلّم الجامعية الأولى، الثانية، الثالثة، الرّابعة).

– تختص بأنّها تعطف جملةً لا تصلح صِلة ولا خبرًا، ولا نعتًا، ولا حالاً على جملة تصلح لذلك والعكس، ومثال عطفها جملة لا تصلح حالاً على أخرى تصلح (أقبل المنتصر يَتهلَّل وَجهُهُ فتنْشرح القلوب)؛ حيث عطفت الجملة" تنشرح القلوب " التّي لا تصلح حالاً على الجملة التي تصلح، ومثال العكس: (أقبل المنتصر تنشرحُ القلوب فيتهلّل وجههُ)؛ عُطِفت الجملة التي تصلح حالا" فيتهلل وجهه"، على التي لا تصلح.

– تعطف كالواو عاملاً قد حُذف وبقي معموله نحو:(اشتريت الكتاب بدينار فصاعدًا)، والأصل مثلا: "فذهب الثمن صاعدًا".

3- أحكام " ثمّ":[6]

– تعطف المفردات والجمل ومثال ذلك في المفردات: (برع الهنود في علم الأصوات ثمّ العرب).

– قد تأتي بمعنى واو العطف بشرط وجود قرينة*، نحو: (لما انقضى الليل واستنار الكونُ، ثمَ طلعت الشمس واقترب ظهور الفجر سارع النّاس إلى أعمالهم...).

---

[1] سورة يوسف، الآية 86.

[2] سورة الحِجْر، الآية 87.

[3] سورة البقرة، الآية 238.

[4] سورة الزمر، الآية 73.

[5] ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص575، 576.

[6] ينظر: المرجع نفسه، ج3، ص577، 578.

* ويقصد بها ما يدّل على المقصود والمراد. هناك قرينتان: مانعة ومُعينة وكلتاها تفضي إلى معنى واحد.

- أن تكون بمعنى الفاء بقرينة نحو: (شربَ العاطش ثمّ ارتوى).

4- أحكام "حتى":[1]

- أنّها لمطلق الجمع -كواو العطف عند عدم القرينة؛ فلا تفيد الترتيب الزّمني بين المتَعاطِفينِ نحو (أدَّيْت الفرائض الخمس حتى المغرب ووفيت أركان كل صلاة حتى الركوع).

- إعادة حرف الجرّ وُجوبًا بعد " حتّى" إذا عُطف بها آخر شيء والمعطوف عليه مجرور بمثل ذلك الحرف، ويلتبس المعنى بعدم إعادته؛ نحو:(سافرت في الأسبوع الماضي حتى في آخره).

- استعمالها عاطفة أقلّ من استعمالها جارَّة، فيجب مراعاة هذا في كلّ موضع في الأمرين، نحو: قرأت القرآن حتى قصار السور، فيجوز نصبُ (قصار) وجرّها.

- أن يكون العطوف بها غاية لما قبلها في الزّيادة أو النّقصان، نحو: (ماتَ النّاسُ حتىَ الأنبياء).

المطلب الثاني: حروف العطف المفيدة للتشريك أو التفريق وأحكامها

1- أحكام" أم" المتّصلة والمنفَصِلة:[2]

ومنها:

-أنّ "أم" المتصلة المسبوقة بهمزة التّسوية* لا تعطف إلاّ جملة وكلتا الجملتين خبرية بمنزلة المفرد، نحو قوله تعالى ﴿وَسَواءٌ عَلَيهم أأنذَرتَهم أمْ لَم تُنذِرهُم لا يُؤمِنُون﴾[3].

-توسّطها بين الشّيئين اللّذين يُرادُ تعيينُ أحدهما، فيقعُ أحدُ المتعاطفَيْن أوّلاً والآخر بعدها مثل: (أَ قِصَّةً كتبت أمْ شعرًا)؟.

2- أحكام" أو":[4]

ومنها:

- عطفُ الاسم على الاسم قال تعالى: ﴿الزّاني لاَ يَنكحُ إلاّ زانيةً أو مُشركةً والزّانية لا ينكحها إلاّ زانٍ أو مشرك﴾[5]، حيث تمّ عطف الاسم (مشركة) على (زانية)، والاسم (مشرك) على (زانٍ).

---

(1) يُنْظر: عباس حَسن، النحو الوافي، ج3، ص582-583.

(2) يُنْظر: المرجع نفسه، ص: 589-590 .

* وسميت بهمزة التّسوية لوقوعها بعد لفظ: سواء أو " لا أبالي"...، أو ما يُشبههما في دلالته، على أنّ الجُملتين المذكورتين بَعْدَه متساويتان في حُكم المتكلم؛ أي تقديره لأثرهما لا فرق عندهُ أي يتحقق معنى هذه أو معنى تلك، المرجع نفسه، هامش ص 585.

(3) سورة يس، الآية 10.

(4) ينظر: لغة القرآن الكريم في سورة النور، دراسة في التّركيب النّحوي، صبري ابراهيم السّيد، دار المعارف الجامعية- الإسكندرية- مصر، د.ط، 1994م، ص302.

(5) سورة النّور، الآية 03.

- عطف الفعل على الفعل، قال تعالى:﴿ أنْ تُصيبهم فتنةٌ أوْ يُصيبهم عذابٌ أليم﴾[1].

3-أحكام" بل":[2]

ونشير هنا إلى أن "بل" تفيد التفريق فقط، بخلاف الأولين، ومن أهم أحكامها:

- عطف الجملة على الجملة (الخبرية الاسمية على جملة النهي)، قال تعالى: ﴿لا تحسَبوهُ شرًّا لكم بل هو خيرٌ لكم﴾[3]، حيث عُطفت الجملة الخبرية الاسمية (هو خير لكم)، عطفت على جملة النّهي (لا تحسبُوهُ شرًّا).

---

(1) سورة النّور، الآية 63.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص302.

(3) سورة النّور، الآية 11.

الفصـــــل الثانـي

معاني حروف العطف

المبحث الأوّل: معاني حروف العطف من حيث التشريك والتفريق ومواضعُ حذفها

المطلب الأوّل: حروف العطف المشركة لفظًا ومعنى

المطلب الثاني: الحروف المشرّكة لفظا لا معنى

المطلب الثالث: حذف بعض حروف العطف

المبحث الثاني: استعمالات حروف العطف بين الصّواب والخطأ

المطلب الأول: الأخطاء الشائعة في استعمالاتها

المطلب الثاني: نظرة المحدثين إلى موضوع العطف

المبحث الأوّل: معاني حروف العطف من حيث التشريك والتفريق ومواضعُ حذفها

تعرفنا في الفصل الأوّل على حروف العطف وعِددها وأقْسامها من حيث التشريك والتفريقُ، كما تعرّفنا على أحكام العديد منها، وهذه الحروف لم تَرِدْ عَرَضًا في مختلف الجُمل وإنما أُنيطت بها وظائف تُكتشف وتُدرك من خلال سياق الكلام والقرائن اللفظية والمعنوية المختلفة.

وقد تعدّدت هذه المعاني بتعدّد تلك الحروف؛ بلْ إنّ التعدّد في المعنى حصل مع الحرف الواحد، وذلك نتيجة تعدّد آراء اللغويين والنحويين والأصوليين.

المطلب الأوّل: حروف العطف المشركة لفظًا ومعنى

وحصرها النحاة في:

1- الواو:

تحتل الواو مكانة خاصّة بين حروف العطف؛ لكَثرة تداولها أثناء عملية الربط بين مختلف الوحدات اللغوية في النص العربيّ حتّى عُدّت " أمُّ باب حروف العطف لكثرة مجالها فيه[1]"، ولم يكتف النّحاة بهذه الرتبة التي خَصُّوها بها، بل اعتبروها أصل الحروف، وحُجّتهم" أنّ الواو لا تدلّ على أكثر من الاشتراك فقط، وأمّا غيرها من الحروف فتدلّ على الاشتراك وعلى معنى زائد"[2].

ومن مظاهر سيادة هذا الحرف على غيره من حروف العطف؛ أنّه " متى رأيت حرفًا من حروف العطف مع الواو، فالواو هي العاطفة دونه، فمن ذلك " إمّا" إذا قُلت: إمّا زيدُ وإمّا عمرْو ، وكذلك "لا" إذا قلت: ما قام زيدُ ولا عمرْو ، ودخلت" لا" لتوكيد النّفي"[3].

كما أنّ الشّعراء- وإنْ نَظروا إليه كبقية حروف العطف- غير أنّهم وظّفوه في مَطَالع قصائدهم" كحيلة فنّيّة من الشاعر ليشُدَّ القارئ ويُنبِّهه على أنّ موضوع القصيدة متصلٌ بموضوع آخر، وهي مُحاولة

---

(1) المرادي الحسن بن قاسم، الجنَى الدّاني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط1، ج1، ص158.

(2) ابنُ الانْباري أبو البركات، أسرار العربية، تح: محمد بهجت البيطار، مطبوعات المجمْع العلمي العربي – دمشق – سوريا، د.ط، د.ت، ص 302.

(3) السهلي أبو القاسم، نتائج الفكر في النحو، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار كتب العلمية –بيروت- لبنان، ط1، 1992، ص 202.

لإشراك القارئ واستنفار طاقاته التّخييلية، ومن ذلك قول الشّاعر [محمود حسين إسماعيل] في قصيدة "المستجيرة":

وقالت: أَجِرْني!

فقلت: اخْسئي...[1]"

وأمّا المعاني التي تؤديها الواو فقد حصَرهَا أغلب النّحاة وعلماء الأصول في مطلق الجمع[*]، وفي مقدمتهم البَصْريُّون، جاء في " الكتاب" لسيبويه: " وذلك قولك مَررت برجل وحمار، قيل: فالواو أشركت بينهما في الباء فجريا عليه، ولم تجعل للرّجل منزلة بتقديمك إيّاه يكون بها أولى من الحمار، كأنّك قُلت: مَررت بهما، وليس في هذا دليل على أنّه بدأ بشيء قبل شيء، ولا بشيء مع شيء لأنّه يجوز أن نقول: مررت بزيد وعمْرو والمبدوءُ به في المرور عمْرو، ويجوز أن يكون المرور وقع عليهما في حالة واحدة، فالواو تجمع هذه الأشياء على هذه المعاني"[2].

وذهب ابن عَقيل المذهب الذي نهجه البصريون، قال:" فإذا قلت: جاءَ زيدٌ وعَمرو، دلّ ذلك على اجتماعهما في نسبة المجيء إليهما"[3].

وسار الأصوليون على نهج النّحاة واللّغويين في إبرازهم أنّ الواو لمطلق الجمع، حيث" لا تعطي رُتبة، أي إنّها لا توجب أنّ الأوّل قبل الثّاني ولا أنّه بعدهُ، بل يمكن فيهما أن يكونا معًا أو أن يكون أحدها قبل الآخر بمهلة وبلا مهلة"[4].

وذهب ابن الأنباري في هذا الاتجاه معللاً لذلك بقوله:" فإنْ قيل: فما الدّليل على أنّ الواو تقتضي الجمع دون الترتيب؟ قيل: الدّليل على ذلك قوله تعالى:﴿وادخلوا الباب سُجدًا وقولوا حِطّةٌ﴾[5]،

---

[1] أبو زيد عصام المنصف، فاعلية المعنى النّحوي في بناء الشعر عند محمود حسن إسماعيل، دراسة نَصّية في التوابع، ص 136.

[*] والمراد أنها لا تدل على أكثر من التشريك في المعنى العام: فلا تفيد الدّلالة على ترتيب زمنيّ بين المتعاطفين وقت وقوع المعنى ولا على مصاحبته، ولا على تعقيب، أو مهلة. ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص 558.

[2] سيبويه أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة- مصر، ط3، 1988م، ج1، ص438.

[3] ابن عقيل العقيلي، شرح ابن عقيل، تح: حنّا الفاخوري، دار الجيل –بيروت- لبنان-، د.ط، د.ت، ج2، ص 234.

[4] ابن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام، تح: أحمد محمد شاكر، د.ط، د.ت، ص51.

[5] سورة البقرة، الآية 58.

وقال في موضع آخر: ﴿ وقولُوا حِطّةً وادْخلُوا الباب سُجّدًا﴾، ولو كانت الواو تقتضي الترتيب لما جاز أن يتقدّم في إحدى الآتيين ما يتأخر في الأخرى"[1].

وفي نفس الاتجاه ذهب ابن جِنّي متناولاً الموضوع من حيثُ التقديمُ في اللّفظ والتأخير في المعنى قائلا:" وعلى هذا يتوجه قوله تعالى: ﴿ يا مريمُ اقنتي إلى ربّك واسجدي واركعي مع الرّاكعين﴾[2]، فبدأ بالسّجود قبل الركوع لفظًا وهو مؤخَّر معنى، ولذلك لم يلزم عند أبي حَنيفة وأصحابه من قوله عزّ اسمه: ﴿ إذا قمتمُ إلى الصّلاة﴾[3] تقديمُ بعض الأعضاء على بعض في الغُسل وذلك أنّها معطوفة بالواو، فلا ترتيب فيها"[4].

ولم يشذّ المحُدثُون عن القاعدة فذهبوا المذهب نفسه ، حيث يرى فاضل صالح السّامرّائي" أنّها لا تفيد الترتيب بدليل قوله تعالى:﴿ وقولوا آمنّا بالله وما أُنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ﴾[5]، ولاشك أنّ ما أنزل إلى محمد متأخر عما أنزل إلى إبراهيم ومَنْ ذكر بعده من الأنبياء"[6].

إلاّ أنّ الكوفيين ومن جاراهم ذهبوا عكس تيار البصريين، فرأوا أنّ الواو تفيد الترتيب، حيث" نقل بعضهم عن الفرّاء والكسائي، وثعلب والربعي وابن درَسْتويه، وبه قال بعض الفقهاء أنها للترتيب، ودليل الجمهور استعمالها فيما يستحيل فيه الترتيب نحو: المال بين زيدٍ وعمرو، وتقاتل زيد وعمرو"[7]

وقد رأى بعضُ القدامى أنّ القرآن الكريم حافل بالأحداث التي وُظف فيها الواو كونه حرف عطف يفيد الترتيب، "قال تعالى: ﴿ زُيّن للناس حُبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضـــــة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث﴾[8] فانظر إلى عجائب هذه الآية ولطافة معناها في تقديم بعضها على بعض... فصدّرها بذكر النساء، تنبيهًا على أن لا مُشتهَى يغلبُ على العقول مثلُهن على القلوب من تَوَقَانِ النفوس إليهن [...]، ثم عقّبه بذكر البنين لما كانوا ممّا يلي النساء في الرقة والرّحمة

[1] ابن الأنباري، أسرار العربية، ص 302، 303.

[2] سورة آل عمران، الآية 43 .

[3] سورة المائدة، الآية 06.

[4] ابن جنّي أبو الفتح، سرّ صناعة الإعراب، تح: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية-بيروت- لبنان، د.ط، 2012م، ج2، ص277.

[5] سورة البقرة، الآية 136.

[6] فاضل صالح السّامرّائي، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – عمّان-الأردن، ط1، 2000م، ج3، ص217.

[7] المرجع نفسه، ص 216.

[8] سورة آل عمران، الآية 16.

والشفقة والحُنوّ [...]، ثم أردف ذلك بالأموال الذّهبية لما يحصل فيها من اللّذة والسرور [...]، وقد أشار الله تعالى إلى ترتيبها كما سردها تنبيهًا على أنّ ما تقدم منها فهو أحقّ من غيره لاختصاصه بما اختصّ به"[1].

كما انخرط في هذا الاتجاه بعض علماء الأصول مخالفين بذلك آراء أهل اللغة، حيث" يمكننا أن نذكر الإمام الشافعي- واضع علم الأصول- ومذهبَه في فرض ترتيب أعضاء الوضوء نظرًا إلى أنّ الواو للتّرتيب"[2].

وقد تبنّى الفكرة نفسها " موريس بوكاي" أحد الغربيين إذ يقول متحمسًا: " وقد بدا لي أنّ هناك فقرة واحدة في القرآن الكريم تقرّر بشكل واضح وجود ترتيب في أحداث الخلْق، ويعني بذلك الآيات من 27 إلى 33 من سورة النّازعات ﴿ أأنتم أشدّ خلقًا أم السماءُ بناها، رفع سَمْكها فسوّاها، وأغْطَش ليلَها وأخْرج ضُحاها والأرضَ بعد ذلك دحَاهَا أخْرج منها ماءَها ومرعَاها﴾ [...]، ولكنّ الرّحلة التي مدّ فيها الله الأرض وأخصَبها تأتي بالتحديد زمنيًا بعد إنجاز عملية توالي الليل والنّهار"[3].

والشيء نفسه حدث مع بعض النحاة المحدثين الذين اهتموا بالدرس النحويّ العربيّ؛ أعطوا الواو غير معنى الجمع والإشراك، وذهبوا أبعد من ذلك مصرّحين أنها تؤدي معاني معروفًا عنها أنّها من اختصاص حروف أخرى غير الواو، كالترتيب والتعقيب والتخيير والتقسيم، يقول عبّاس حسن:" ومن أمثلة الترتيب والتعقيب جَرَى الماءُ وأروى الزّروع"[4]، ومن أمثلة ذلك قوله: " إذا وقعَت " واو" العطف قبل "إمّا" الثانية لم تُفِدْ معنى الجمع والتشريك وإنما تفيد معنى آخر يقتضيه المقام الذي يسايره معنى الجمع كالتخيير مثل: استرضِ إمّا مشيًا وإمّا ركوبًا...، وقد يكون التخيير مباشرة بغير "إمّا"، نحو سافِرِ الآن بالقطار والطائرة، وقد يكون معناها التقسيم، نحو الكلمة اسم وفعل وحرف"[5].

---

(1) يحي بن حمزة العلوي، الطّراز، تح: عبد الحميد هنْداوي، المكتبة العصريّة -بيروت - لبنان، ط1، 2002، ج1، ص174.

(2) محمد بن البشير، علم أصول الفقه الإسلامي وعلم اللغة العربية بين الترابط والتكامل، مجلة الآداب واللغات، جامعة الأغواط، الجزائر، ع2، جوان 2004 م، ص 207، 208.

(3) موريس بوكاي، القرآن الكريم والتورات والإنجيل والعلم، دراسة للكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، مكتبة مديولي- القاهرة-مصر، ط1، 1996م، ص 169.

(4) عبّاس حسن، النحو الوافي، ج3، ص 560.

(5) المرجع نفسه، ج3، ص560.

كما يمكن حسبهم أن تؤدّي إضافة إلى الاشتراك معنى الترتيب والمهلة بقرينة، ومن أمثلة ذلك: " قوله تعالى: ﴿ ولقد أرسلنا نوحًا وإبراهيم... ﴾[1] فقد أفادت الواو الإشراك والترتيب الزمني، والمهلة، فعطفت المتأخّر كثيرًا في زمنه (وهو نوح) وكانت إفادتها الترتيب والإمهال مُستفادة من قرينة خارجية يجبُ احترامها، هي التّاريخ الثابت الذي يقطع بأنّ زمن إبراهيم متأخرٌ كثيرًا عن زمن نوح، ولولا هذه القرينة ما أفادت الواو التّرتيب الزمنيّ وفُسحة الوقت "[2]

وعلى غرار ذلك يمكنها أن تؤدي معنى التقارب والتراخي من خلال السّياق والقرينة حيث " يجوز أن يكون بين المتعاطفَيْن بالواو تقارب أو تراخٍ نحو قوله تعالى:﴿ إنّا رادّوه إليكِ وجاعِلُوه من المرْسَلين﴾[3]، فإنّ الرّدّ بُعيْدَ إلقاءِ موسى ـ عليه السّلام ـ ، وهو رَضيعٌ في اليَمِّ، والوحيُ بالرسالة على رأس أربعين سنة"[4].

وفي حالات نادرة تقمّصت الواو وظيفة بعض أخواتها، ومن أمثلة ذلك مجيئُها " في كتب إعراب الحديث بمعنى "أو"، ومن ذلك قوله –صلى الله عليه وسلم–: ما منكم من أحدٍ، مَا من نفْسٍ منفُوسةٍ إلاّ كتبَ مكانها من الجنة والنّار، وإلاّ قد كُتِبَت شقيّة أو سعيدة، قوله (الجنة والنّار)، [الواو] فيه بمعنى "أو" "[5].

وخلاصة القول إنّ الّذين قالوا: إن الواو لا تفيد إلاّ مطلق الجمع قد ضيّقُوا في ذلك ولم يلْتفتوا إلى آراء غيرهم والتي يمكن أن تكون صائبة– على الأقل– في بعض مما ذهبوا إليه، كما أنّ الذّين ذهبوا إلى كونها لا تصلح إلاّ لتأدية الّترتيب، قد غَالوا في ذلك ولم يكترثوا لآراء الأغلبية.

والرّأيُ الرّاجح أنّ الواو تفيد معنى الجمع (الاشتراك) كما تفيد التّرتيب، ويمكنها أن تفيد غير هذين المعنـيـين (الدّلالتين)، حيث يمكن إدراك ذلك بعيدًا عن الشّطط والتعصّب للرّأي، يقول الدّكتور فاضل السّامرائيّ: " ليس معنى قولنا إنّها لا تفيد التّرتيب، إنّها لا تأتي للترتيب ألبته، بل قد تأتي للترتيب وتأتي لغيره[...]، ولا مانع من ذلك، وإنّما ردّنا على الّذين يزعمون أنّها لا تكون إلاّ للترتيب"[6].

---

[1] سورة الحديد، الآية 26.

[2] عبّاس حسن، النّحو الوافي، ج3، ص559.

[3] سورة القصص، الآية 07.

[4] محمود سليمان ياقوت، التوابع في النّحو العربي، كلية الآداب، جامعة طنْطا– الاسكندرية– مصر، د.ط، 2005-2006 م، ص98، 99.

[5] عائشة بنت مرزوق اللّهيبي، التأويل النّحوي في كتب إعراب الحديث النبوي، جامعة أم القرى–الرياض– المملكة العربية السعودية، د.ط، 1432هـ، ص 246.

[6] فاضل صالح السّامرّائي، معاني النحو، ج3، ص 217.

وإذا كان أغلب أهل اللّغة، قُدامى ومحدثين قد أجمعوا على أنّ الواو لمطلق الجمع ـ وأنصارهم كثر فيما ذهبوا إليه وأجمعوا عليه ؛ فإنه في المقابل نجدُ أنّ العلم الحديث بكشوفاته أنصف من ذهبوا إلى إفادة الواو للترتيب ومن دلائل ذلك قوله تعالى:﴿ وفاكهةٍ ممّا يتخيّرون ولحمِ طيرٍ ممّا يشتَهون ﴾[1]، فالآية الكريمة تدعو صراحة إلى اتباع قاعدة صحيّة سليمة وجعلِها عادة في سُلوكنا الغذائي؛ ذلك أنّ الاستفتاح بالفاكهة حسب تصريحات علماء التغذية والأطباء يساهم في تسهيل عملية الهضم أمّا تأخير تناولها إلى ما بعد تناول اللّحم فإنه يفسد أنزيمات الهضم وبالتالي حصول عسر فيه، والذي أفاد الترتيب في هذا هو الواو.

02- الفاء:

حصر النّحاة دلالة الفاء في التّشريك (الجمع) والتّرتيب والتّعقيب" فهي من الحروف التي تشرّك في الإعراب والحكم ومعناها التّعقيب، فإذا قلت: قام زيدٌ فعمرو، دلّت على أنّ قيام عمرو بعد زيْد بلا مُهلة، فتشارك "ثم" في فائدة التّرتيب، وتفارقها في أنّها تفيد الاتّصال"[2]، وهذا ما ذهب إليه ابن عصفور في قوله: " فأمّا الفاء فالجمع والتّرتيب من غير مهلة"[3].

غير أنّ البعض منهم قَصَر دلالتها على التّرتيب والتعقيب دون غيرهما، جاء في كتاب "أسرار اللغة العربية" لابن الأنباري: " فأمّا الفاء فإنّها تفيد التّرتيب والتّعقيب"[4].

ورأى الزّمخشري كذلك أنّ " الفاء وثم وحتى تقتضي التّرتيب إلاّ أنّ الفاء تُوجبُ وجود الثاني بعد الأول بغير مهلة"[5].

والرّأي نفسه ذهب إليه الغلاييني فهي" تكون للترتيب والتّعقيب، فإذا قلت" جاء علي فسعيد" فالمعنى أنّ علي جاء أولاً، وسعيد جاء بعده بلا مهلة بين مجيئهما"[6].

---

(1) سورة الواقعة، الآية 20.

(2) المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ج1، ص 61.

(3) ابن عصفور، المقرّب، تح: أحمد عبد السّتار الجواري، ط1، 1972م، ج1، ص229.

(4) ابن الأنباري، كتاب أسرار اللغة العربية، ص 304.

(5) الزّمخشري محمود بن عمر، المفصّل في علم العربية، دار الجيل –بيروت- لبنان، ط2، د.ت، ص304.

(6) الغلاييني مصطفى، جامع الدروس العربية، تح: عبد الله المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان، د.ط، 1944م، ص158.

وذهب آخرون إلى أنّ الفاء تؤدّي معنى السّببيّة، جاء في "شرح الرّضيّ على الكافية": " ثم اعلم أنّه لا تنافي بين السببيّة والعاطفة، فقد تكون سببيّة وهي مع ذلك عاطفة جملة على جملة، نحو: يقوم زيدٌ فيغضَب عمرو ولكن لا يلازمها العطف نحو: إنْ لقيته فأكرمْهُ"[1].

وإليه ذهب ابن هشام الأنصاري قائلاً:" وللفاء معنى آخر، وهو السّببُ، وذلك غالب في عطف الجُمل نحو قولك: سَها فسجد، وزنى فَرُجِم وسرقَ فقُطِع، وقوله تعالى: ﴿ فتلقّى آدَمُ من ربّه كَلمات فتَاب عَليه﴾[2] ولدلالتها على ذلك استُعيرت للرّبط في جواب كشرط، نحو: من يأتني فإنّي أُكرمْهُ"[3]، وكذلك اعتقد المالقي قائلاً:" وقد يلازمها التّسْبيبُ في بعض المواضع"[4].

ونجد من المحدَثين من انخرط في هذا الاتجاه، فأضاف إلى دلالاتها الثّلاث السّابقة معنى السّببيّة " على أنّ أداءها تلك الدّلالة لا يُخرجها عن كونها عاطفة وذلك نحو: نجح الأبناء فسعد الآباء، فالفاء هنا تؤدّي معنى: التّشريك والترتيب والتعقيب والسّببيّة "[5].

وفي المقابل هناك فريق من النّحاة أنكر على الفاء تأديتها معنًى من المعاني، حيث " زعم الكوفيون، أنّ التّرتيب لا يلزم فيها، واستدلّوا بقوله تعالى﴿ وَكَمْ منْ قَرْيَة أهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا ﴾[6]، قالُوا فالبأس في الوُجود واقع قبل الإهلاك، وهو في الآية مُؤخّرٌ عنه، وهذا عند البصريين مُؤوّل تقديره: كم من قرية أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا فهلَكت"[7].

وهناك من أنكر– كذلك – على الفاء إفادتها دلالة التعقيب قائلاً:" فقد ورد في القرآن الكريم التّعبير بالفاء في غير ما يفيد التعقيب، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿والّذي أَخرَجَ المرعى فجعله غثاء أحْوى﴾[8]، فجعله غثاءً أسودَ لا يعُب خروج المرعى بل يكون بعده بدليل قوله تعالى في آية أخرى:﴿ألم

---

(1) الرّضي الأسترابادي، شرح الرضيّ على الكافية، ج4، ص 388.

(2) سورة الكهف، الآية 49.

(3) ابن هشام الأنصاري، شرح قطر النّدى وبلّ الصّدى، تح: محمد خير طعمة حلبي، دار المعرفة– بيروت– لبنان، د.ط، د.ت، ص406.

(4) المالقي أحمد بن عبد النور، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تح: محمد أحمد الخرّاط، مطبوعات مجمع اللغة العربية – دمشق– سوريا، د.ط، د.ت، ص377.

(5) مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص138، 139.

(6) سورة الأعراف، الآية 04.

(7) المالقى، رَصَفُ المباني في شرح حروف المعاني، ص377.

(8) سورة الأعلى، الآية 04، 05.

تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1] فعبّر عن جعله حطامًا بـ "ثم"[2] .

وقد كان النّحاة والمفسرون القدامى يلجؤون – عندما يشكل عليهم الأمر بشأن دلالات الحروف في النّصّ القرآني– إلى التقدير والتأويل ، فظهرت حينها آراء متباينة في الموضوع.

ويبدو أنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي قد تفطّن إلى هذا الأمر فأحجم عن ذكر دلالات بعض الحروف العاطفة وترك المجال مفتوحًا، فقال في الفاء:

" والفـــــاءُ نَاسقَـــةٌ كذلك عنِـدنَا وسبيلها رَحْب المذاهب مُشعَبُ"[3]

وللخروج من هذا التباين الحاصل بشأن تعدّد الدّلالات مع الحرف الواحد أوْ بين مختلف الحروف، فإنّنا نميل إلى الأخذ بالطّرح الذّي جاء به مصطفى حميدة، وهو اعتماد السّياق كبديل. يقول بشأنه:" وعلى هذا النّحو يمكنُ فهمُ دلالة الفاء في قوله تعالى: ﴿ ألم تَرَ أنّ الله أنْزَلَ من السَماءْ ماءً فتصبح الأرض مخضرةً ﴾[4]، فالفاء في هذه الآية الكريمة ليست بمعنى "ثم"، وليست الآية في حاجة إلى تقدير كلام محذوف، كما ذهب بعضُ النّحاة والمفسّرين، وإنما جاءت الفاء لتؤدي دلالتها المعهودة، وهي التعقيب، ذلك أنّ الآية تريد بيان قدرة الله عز وجل في جعل الأرض المقفرة أيضًا خضراء بإنزال المطر، وكيف أنّ تحوُّل الأرض من الإقفار إلى الاخضرار يتم في زمن يُعدّ قصيرًا إذَا قيس بزمن بقاء الأرض مُقْفَرة قبل نزول المطر، ولو أنّ "ثم" استعملت في الآية ما أدّت الدّلالة التي أدّتها الفاء في بيان قدرة الله"[5].

وما نخلص إليه أنّ آراء النّحاة والمفسرين جاءت متقاربة بشأن دلالاتها، باستثناء ما زاد فيه بعضهم على الآخر بشأنها أو أنقص، وإن كان ذلك قد حصل مع حالات قليلة.

وبمثل هذا الطّرح، وبغيره من الطّروحات المتاحة في ظلّ التّطور الحاصل – حديثًا– في الدّرس اللّساني واللغوي، يمكن إيجاد مخارجَ لكثير من الإشكالات العالقة في الدّرس النحوي العربي.

03–"ثم":

من المعاني التي أوردها النّحاة بشأنها: الترتيب والتّراخي حيث " وضع اللّسان العربي "ثم" في الأصل للدّلالة على تراخي الحُدوث بين المتعاطفَيْن في الزّمان، ثمّ استعارها للدّلالة على التراخي بينهما

---

(1) سورة الزمر، الآية 21.

(2) السامرائي، معاني النّحو، ج 3، ص233، 234.

(3) الفراهيدي الخليل بن أحمد، المنظومة النّحوية، تح: أحمد عفيفي، مطبعة دار الكتب المصرية–القاهرة– مصر، د.ط، 1995م، ص225.

(4) سورة الحج، الآية03.

(5) مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص 135.

في المرتبة"[1]، وأضاف آخرون معنى التّشريك (الجمع)، تقول: صلّيت الظهر ثم العصر، فـ "ثم " جعلت تأدية صلاة الظّهر أوّلاً تليها بعد فترة زمنّية صلاة العصر، يقول ابن الأنباري:" وثم تفيد التّرتيب والترّاخي "[2].

وجاء في كتاب "التوابع في النحو العربي": " تدل "ثم" على تأخر المعطوف عن المعطوف عليه منفصلا؛ أي متراخيا نحو: "جاء زيد ثم عمرو " [3].

ومنه يُدرَك أنّ "ثم" والفاء تلتقيان في نقطة وتفترقان في أخرى يقول ابن يعيش:" وأمّا "ثم" فهي كالفاء في أنّ الثاني بعد الأوّل، إلاّ أنّها تفيد مهلة وتراخيًا عن الأوّل [...]، لأنه لما تراخى لفظها بكثرة حروفها تراخى معناها لأنّ قوة اللفظ مؤْذِنة بقوة المعنى"[4].

وقال عبد القاهر الجرجاني في هذا الأمر: "و الفصل بين ثمّ والفاء أنّ في ثم تراخيًا ليس في الفاء"[5] وبالإضافة إلى المعنين السّابقين اللّذين أفادتهما "ثم"؛ هناك من رأى أنّها تفيد التّشريك والجمع، يقول سيبويه: "ومن ذلك، مررت برجل ثمّ امرأة، فالمرور هنا مروران، وجعلت ثم الأوّل مبدوءً به وأشركت بينهما في الجرّ"[6].

وجاراه المرادي في ذلك معتبرًا إيّاها "حرفَ عطف يشرّك في الحكم ويفيد التّرتيب بمُهلة، فإذا قلت: قام زيد ثمّ عمرو، آذنت بأنّ الثاني بعد الأوّل بمهلة ، هذا مذهب الجمهور، ومَا أوهَم خلاف ذلك فأوّلوه "[7].

وأشار مصطفى حميدة بأنّ "ثمّ" "قد تتفرع في دلالاتها لتشمل التّفاوت[8] والاستبعاد والتّدرج في الارتقاء"[9].

ومع هذا فإنّ الكوفييّن "لم يكونوا ملتزمين بالقول بدلالة "ثمّ" على الترتيب والتراخي في الزّمان مطلقًا، وكانوا بهذا أكثر عناية من البصريين بدور السّياق في فهم الدّلالة الزّمنية"[10].

(1) مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص 161.

(2) ابن الأنباري، كتاب أسرار العربية، ص304.

(3) سليمان ياقوت، التوابع في النحو العربي، ص110.

(4) ابن يعيش، شرح المفصل، ج8، ص 96.

(5) الجرجاني، المقتصد في شرح الإيضاح، تح: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر، د.ط، 1982م، ج2، ص 941.

(6) سيبويه، الكتاب، ج1، ص 438.

(7) المرادي، الجنى الدّاني في حروف المعاني، ص 426.

(8) ينظر: مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص 161.

(9) ينظر: المرجع نفسه، ص172-175.

(10) ينظر: المرجع نفسه، ص 5878.

ولم يكن الكوفيون وحدهم،" فقد خالف قوم في اقتضائها التّرتيب والتراخي واستدلّوا على عدم الترتيب بقوله تعالى:﴿خَلقَكمُ من نفس واحدة ثُم جَعَلَ منها زوَجهَا﴾[1]، لكن مصطفى حميدة يرى أنّ "ثمّ" دلّت على التقارب بين المتعاطفين (خلْق آدم وحواء) "، لأنّ الدّلالة على التّفاوت بينهما أدْعى لعَجب المتلقي وإثارةِ انتباهه في مقام إظهار قدرته تعالى، أمّا حين لم يستدع المقامُ إظهار هذا التفاوت بين الأمْرين ولا الدّلالة على الترتيب الزّمني بينهما، استعمل القرآن الكريم الواو، فهي في اللّسان العربي ليست إلاّ للدّلالة على مُطلق الجمع والتشريك"[2].

ولم يلتبس الأمر على النّحاة وحدهم بشأن دلالتها، " فقد اعترض بعض الأصوليين على معنى التّراخي في "ثم" بقوله تعالى:﴿وإني لَغفّار لمن تَابَ وآمن وعمل صالحًا ثمّ اهْتَدى ﴾[3]، فالمعاني المذكورة وهي التّوبة والإيمان والعمل الصّالح معطوف عليها الاهتداء بواسطة الأداة "ثم"، والاهتداء لا يتراخى عنها، غير أنّه يُردّ على هذا بأنّ المقصود دَوام الاهتداء وثباتُه، وهذا يمكن أن يتراخى على المقدّمات السّابقة"[4].

لقد لاحظنا أنّ النّحاة اختلفوا بشأن الوجهة التّي أخذتها الدّلالة مع الحرف الواحد، ناهيك عن مختلف الحروف، " وأنّ ممّا أوقع النّحاة في كثير من مسائل الجدل والخلاف أنّهم كانوا ينسبون الدّلالات الزّمنية في التراكيب إلى الأدوات وهي في معزلٍ عن السّياق"[5].

وإن حصل أن اتّفقوا على الدّلالة الزمنية المستقاة من الحرف نفسه أو من خلال سياقه، إلاّ أنّهم اختلفوا في تحديد المدّة الزمنية ورأوا بأنّ تقديرَها " متروُك للعُرف الشائع، فهو وحدهُ الذي يحْكم بالطّول أو القصر، ولا يمكن وضع ضابطٍ آخر يُحدّدُها؛ لأنّ ما يُعتبرُ طويلاً في حادثة معّينة قد يكون قصيرًا في غيرها، فمرَدّ الأمر للعُرف ومن الأمثلة: زرَعتُ القُطن ثمّ جنيتهُ "[6].

---

(1) سورة الزمر، الآية 06.

(2) مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص 161.

(3) سورة طه، الآية 82.

(4) مبروك زيد الخير، حروف المعاني وأثرها في الفقه وأصوله (حروف العطف نموذجا)، مجلة الآداب واللّغات، جامعة الأغواط، الجزائر، 2004، ع02، جوان 2004، ص170.

(5) مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص 156.

(6) عبّاس حسن، النّحو الوافي، ج3، ص 577.

وما نميل إليه أنّ "ثم" تفيد التّرتيب والتراخي وهو ما ذهب إليه جمهور النّحاة؛ فمن " خلال استقراء مواضع وُرود "ثم" في القرآن الكريم، يلحظ أنّها جاءت في مُعظم تلك المواضع دالّة على التّرتيب والتّراخي في الزّمان"[1].

وتجنبًا للتأويلات والتّقديرات الّتي وقع فيها القدامى، يمكن التّعويل بشأن دلالة الحرف على السّياق، "ذلك أنّ السياق هو الذي يُعطي للحرف دلالته من خلال قرائنه"[2]، كما يمكن اللّجوء إلى العُرف في تقدير الزّمن وكذا الاستعانة بالدّرس البلاغي وما استجدّ في البحوث اللّغوية الحديثة.

04- " حتى":

اختلف النّحاة بشأن دلالة " حتى"، وانقسموا فريقين، فريق يُنكر إفادتها العطف، وفريق جوّز ذلك بشروط ويقال: إنّ "العطف بـ "حتّى " قليل، وأهل الكوفة يُنكرونهُ ألبتّة "[3]، فمعانيها تدور حول مطلق الجمع

"و الغاية والتدريج*"[4]، واضعين بشأن حصول ذلك شروطاً يجب أن تتوفر في المعطوف بها، جاء في "شرح قطر النّدى وبل الصّدى": " إنمّا هي لمطلق الجمع كالواو"[5].

كما جاء بشأن حصول دلالة "الغاية"، في شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك:

" بَعضًا بحتى اعْطف على بل، ولَا يَكون إلاَّ غايةَ الّذِي تلاَ "[6]

وفي هذا الاتجاه ذهب البُصْرَوِيُّ شارحًا مُفصلاً: " ولا يكون المعطوف بها إلاّ بعضًا مما قبله وغاية له في زيادة أو نقصٍ مثل: مات النّاسُ حتّى الأنبياء، وقدم الحجّاج حتى المشاة، فالأنبياء – عليهم الصّلاة والسّلام – بعضُ النّاس وغايةُ في (زيادة) شرفِ المقدار، والمشاة بعضُ (الحُجاجِ) وغاية في نقص الرتبة في الدّنيا"[7]، وفي المقابل هناك من النّحاة من أنكر إفادتها العطف واعتبر " عَمَلها في الأسماء الجرّ

(1) مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص 156.

(2) المرجع نفسه، ص 170.

(3) عصام أبو زيد، فاعلية المعنى النّحوي في بناء الشّعر عند محمود حسن إسماعيل، ص146.

* الغاية: آخر الشيء، التدرج: أنّ ما قبلها يفضي شيئًا فشيئًا إلى أن يبلغ إلى الغاية وهو الاسم المعطوف بها جزءًا من المعطوف عليه.

(4) ابن هشام، شرح قطر النّدى وبل الصدى، هامش ص 263.

(5) المرجع نفسه، ص 263.

(6) ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج2، ص236.

(7) البُصرويّ علاء الدّين، شرح قواعد البُصروية في النّحو، تح: علاّم عمر الشّعراوي، دار البشير – عمّان – الأردن، ط1، 2000م، ص160.

إذا كانت للغاية، نحو قولك: أكلت السّمكة حتّى رأسها ،أي إلى رأسها، قال الله تعالى: ﴿ سَلامٌ هي حتى مطلَع الفجرِ ﴾[1]، فهي في هذه الآية حرف جرّ"[2].

ورغم أنّ الفرّاء نحوي كوفي غير أنّه أجاز أن تكون عاطفة أو جارّة، يقول " إنّه ليقاتل الرّجالة حتى الفرسان وإنّ كلبي ليصيدُ الأرانب حتى الظّباء، خفضًا ونصبًا، قال الفرّاءُ: لأنّ الظّباء وإن كانت مخالفة للأرانب فإنها من الصيّد وهي أرفع منها"[3].

وعمومًا فإنّ النّحاة اختلفوا بشأن دلالة "حتى"، وذهبوا مذاهب متفرقة، وعليه فإنّه قبل إصدار أي حكم بشأن طبيعتها ينبغي تقصّي مواضع تواجدها واستعمالاتها في مدونات القدامى عند معالجتهم للدرس النحوي يقول مصطفى حميدة: "وفي رأيي أنّ قول النّحاة إنّ العطف بـ" حتّى" قليل، يحتاج إلى تمحيص تقوم به دراسة حديثة تقوم على أسس المنهج الإحصائي، وتجعلُ مجال بحثها عددًا من دواوين العَرَب"[4].

والخلاصة أنّ "حتى" قد شغلت بال وتفكير النّحويين قديما حتّى قال الكسائي بشأنها: " سأموت وفي قلـبي شيء من حتى"[5]، وقوله يُوحي بأنّ تناولها من حيث الدّلالة كان شاقًّا إذ لم يجد النّحاة لإشكالها جوابًا مُقنعا.

" أو" و" أم" بين التّشريك والتّفريق:

عرفنا سابقًا أنّ حرفي العطف "أم" و" أو" قد اختلفت النّحاة بشأن دلالتها، فمن قائل إنّهما يفيدان التّشريك لفظًا ومعنى، إلى قائل إنهما يفيدان التشريك لفظًا لا معنى، لكنّ أغلب النّحاة يرون أنّها للتّشريك لفظًا ومعنى بشروط.

أولا:" أو"

لقد تراوحت دلالة " أو" عند تناولها من طرف النّحاة بين التشريك لفظًا ومعنى كالواو، والاقتصار على التشريك لفظًا فقط، أو جعل إيّاها لأحد الشّيئين ؛يقول سيبويه: " ومن ذلك [قولك]

[1] سورة القدر، الآية 05.

[2] الأصفهاني أبو الحسن علي بن الحسين الباقولي، شرح اللّمع، تح: إبراهيم بن محمد أبو عيادة، إدارة الثقافة والنشر–جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية–الرياض– المملكة العربية السعودية، د.ط، 1990، ج1، ص 523.

[3] ابن فارس، الصّاحبي في فقه اللّغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية– بيروت–لبنان، 1997 م، ص108.

[4] مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص 187.

[5] Joseph .Hajjar, traite de traduction "دراسة في أصول الترجمة" , Dar El Machrek, Bayrout, Libon, 3eme edition, 1980, p128.

مررتُ برحل أو امرأة، فـ "أو" أشركت بينهما في الجرّ، وأثبتت المرور لأحدهما دون الآخر وسوّت بينهما في الدّعوى"[1]، ومنه يفهم أنّ سيبويه يجعلها مشرّكة بين المتعاطفَيْن في الجرّ مفيدة للتّعيين والتّسوية.

ورأى " العُكْبَري" أنها تفيد التشريك فقال:" وأمّا "أو" فتشرّك في الإعراب"[2]، وفي "شرح التسهيل" لابن مالك نلمس معارضة للّذين حصروا وظيفة "أو" و"أم" في التّشريك لفظًا فقال:" والصحيح أنهما يشرّكان لفظًا ومعنى ما لم يقتضيا إضرابًا [...] وكذلك "أو" مشرّكة لما بعدها وما قبلها فيما يُجَاء لأجله من شك أو تخيير وغيرها "[3].

أمّا الكوفيون فقد ذهبوا " إلى أنّ " أو" يكون بمعنى "الواو" [...] فاحتجّوا بأن قالوا: إنّما قلنا ذلك لأنه جاء ذلك كثيرًا في كتاب الله تعالى [...] قال تعالى: ﴿ ولا تُطعْ منهُم آثما أو كَفورًا ﴾[4]، أي: وَكفورًا"[5].

في حين نجد أبا حيّان وهو من النّحاة المتأخّرين قد لاحظ كما جاء في كتابه "ارتشاف الضّرب من لسان العرب"، أنّ: "أكثر النّحاة يجعل "أو" مشرّكة في اللّفظ لا في المعنى"[6].

غير أنّ ابن جنّي كان قد خاض هو الآخر في دلالة "أو" الواردة في هذه الآية، وخَلَص إلى رأي – يبدو أنّه الأرجح– يرى فيه أنّ: " "أو" أفادت الشّك، وأنّ الكلام جاء حكاية من الله سبحانه وتعالى كما هو جار على ألسنة النّاس، يقول: "فأمّا قول الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[7] فلا يكون فيه (أو) على مذهب الفرّاء بمعنى بَلْ، ولا على مذهب قطرب بمعنى (الواو) لكنّها عندنا على

---

(1) سيبويه، الكتاب، ج1، ص438.

(2) العُكبريّ أبو البقاء، اللُّباب في علل البناء والإعراب، تح: غازي مختار طليمات، دار الفكر-دمشق- سورية، ط1، 1995،ج1، ص422.

(3) ابن مالك الأندلسي، شرح التسهيل، تح: عبد الرحمن السيد وآخرون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان-القاهرة- مصر، ط1، 1990، ج3، ص 348.

(4) سورة الإنسان، الآية 24.

(5) الأنباري أبو البركات، الإنصاف بين مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تح: جودت مبروك، مكتبة الخانجي-القاهرة-مصر، ط1، د.ت، ص 383.

(6) أبو حيّان الأندلسي، ارتشاف الضّرب من لسان العرب، ج4، ص 1989.

(7) سورة الصّافات، الآية 147.

بابها في كونها شكّا، وذلك أنّ هذا كلام خرج حكاية من الله عزّ وجل لقول المخلوقين وتأويله عند أهل النّظر: وأرسلناه إلى جمع لو رأيتموهم لقلتم أنتم فيه: هؤلاء مَائة ألف أو يزيدون" [1].

وحديثا نجد بعض النّحويين كمصطفى حميدة في كتابه "أساليب العطف في القرآن الكريم يذهب عكس تيار القُدامى فيرى أنّ "أو، لا تقيمُ شركة بين متعاطفيْها بل تُنبّه لأحدهما، ولا تعيّن ذلك الواحد فهي تسوّي بينهما في استقلال كلّ واحد منهما بالحكم، وبذلك تضع متعاطفيْها في مرتبة واحدة عند المتكلّم لإبعاد أحدهما على الآخر" [2].

أمّا بشأن المعاني المتعدّدة التي انفردت بها "أم" أو شاركت غيرها في بعض منها، فقد جاءت متوزّعة بين الخبر والأمر.

وأمّا ورودها في الخبر فكان لها معان كالشكّ والإبهام والتّفصيل، وينتُج عن ذلك تعيين أحد الشّيئين أو بعض الأشياء، قال سيبويه: "وأما أو فإنما يُثْبت بها بعض الأشياء، ويكون في الخبر والاستفهام يدخل عليها على ذلك الحدّ" [3].

قال العُكبريّ في كتابه "اللُّباب في علل البناء والإعراب": "ولها معانٍ: أحدهما الشكّ في الخبر: قام زيدٌ أم عمرو، والمعنى أحدهما" [4]، أما في كتاب "الصّاحبي في فقه اللغة العربيّة"؛ فجاء أنّ: "أو: حرف عطف يأتي بعد الاستفهام للشّك: أَزَيْدٌ عندك أو بكر ؟ تريد أحدهما عندك ؟ فالجواب "لا" أو "نعم"" [5].

أمّا السّهيلي فيرى أنّ الشّكّ لم يأت به الحرف العاطف بحدّ ذاته، وإنّما جاء الشّك في الكلام الذّي أوردَه المتحدّث وأوهم فيه على المخاطَبِ يقول: "أو: وضعت للدّلالة على أحد الشّيئين المذكورين معها، ولذلك وقعت في الحيِّز المشكوكِ فيه، من حيث كان الشّك تردّدا بين أمرين من غير ترجيح لأحدهما على الآخر، لا أنّها وضعت للشّك، فقد تكون في الخبر ولا شكّ فيه إذا أبْهمت على المخاطَب ولم تقصد أن تبيّن له، كقوله سبحانه: ﴿ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [6]، أي أنّهم من الكثرة بحيث يقال

---

[1] ابن جنّي أبو الفتح، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، د.ط، 1955، ج2، ص461.

[2] مصطفى حميدة، أساليب العطف، ص194.

[3] سيبويه، الكتاب، ج1، ص 169.

[4] العُكبري، اللُّباب في علل البناء والإعراب، ج1، ص 422.

[5] ابن فارس، الصّاحبي في فقه اللّغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص 88.

[6] سورة الصافات، الآية 147.

فيهم: هم مائة ألف أو يزيدون، فأو على بابها دالٌ على أحد الشيئين إماّ مائة ألف بمجردها، وإما مائة ألف مع زيادة مع زيادة والمخْبِر في كل هذا لا يشكّ" [1].

فإذا كانت "أو" عند السّهيلي لا تفيد الشّك، وإنّما وقعت في الخبر المشكوك فيه، وإذا كان الكوفيّون يرون أنّها جاءت بمعنى "بل" أي للإضراب، فإنّ البصريّين "ذهبوا إلى خلاف ما سبق، واحتجوّا أنّ الأصل في "أو" أن تكون لأحد الشيئين على الإبهام، بخلاف "بل" التّي معناها الإضراب" [2].

وقد تأتي في سياق آخر بمعنى "التّفضيل": "إذا لم تَشكُّ، ولم تقصد الإبهام على السّامع، كقولك: هذا إمّا أن يكون جوهرا أو عرضا، إذا قصدت الاستّدلال على أنّه جَوْهَر لا عرضاً، أو على أنّه عرضٌ لا جوهرٌ، أو على أنّه لا هذا ولا ذاك" [3].

وأمّا ورودها في الأمر؛ فجاءت بمعنى التّخيير*، يقول ابن فارس في كتابه "الصّاحبي" في فقه اللّغة: "وتكون "أو" للتّخيير كقوله جلّ ثناؤه: ﴿فإِطْعَامُ عَشَرَةَ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾[4]" [5]، والذّي يوحي بمعنى التخيير هو السّياق الوارد من خلال التّركيب، حيث يكون التّخيير وحده دون غيره "فإذا كان المثال هو: "تزوّج هندا أو أختها" فإنّ الذي منع الإباحة هو كلمة "أختها"[...]، والسّبب في ذلك عُرفٌ شرعيٌّ خاص يحرّم الجمع بين المرأة وأختها"[6].

كما جاءت بمعنى الإباحة: "وهي ما يجوز فيه الجمع، [بين المتعاطفين] نحو "جالسِ العلماء أو الزّهّاد" [...]، وكذلك في جملة "كل عنبًا أو تفّاحا" ليس هناك مانع خارجي من الجمع بينهما؛ بحيث يمكن للمخاطَب المأمور بذلك أن يأكل العنب والتّفاح جميعا" [7].

---

(1) السّهيلي، نتائج الفكر في النّحو، ص 198.

(2) عصام أبو زيد، فاعلية المعنى النّحوي في بناء الشعر عند حسن إسماعيل، ص 150.

(3) الرّضيّ الأسترابادي ، شرح الرّضي على الكافية، ج4، ص 397.

* التّخيير: ترك المخاطب حرّا يختار أحد المتعاطفين فقط، دون أن يجمع بينهما لوجود سبب يمنع الجمع. عبّاس حسن، النّحو الوافي، ج4، ص 604.

(4) سورة المائدة، الآية 89.

(5) ابن فارس، الصّاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص 89.

(6) محمد حماسة عبد اللطيف، النّحو والدّلالة مدخل لدراسة المعنى النّحوي الدلالي، دار الشروق-القاهرة-مصر، ط1، 2000 م، ص 53.

(7) المرجع نفسه، ص 53.

وإذا كان النّحويون قد أوغلوا في التنقيب عن معاني "أو" حتى جعلها بعضهم بمعنى: ("إنّ" و"إلا" و"حتى" و"إلى")[1]، فإنّ "أوّل ما يلفت النّظر في تحليل البلاغيّين لأساليب العطف هو اهتمامهم بعطف الجمل، دون عطف المفردات [...]وكأنّهم اكتفوا بما ردّده النحويّون فيها" [2].

وعمومًا فإنّ هذا الحرف حاز معاني متعدّدة خاضعَةً لتعدّد السّياقات "ومن ثمّ اختلفت المعاني القياسيّة للحرف "أو"؛ باختلاف التّراكيب والقرائن وبما يكون قبله من جملة طلبيّة أمريَّة، أو غير أمريّة أو جملة خبريّة" [3].

ومن هنا يُفهم أنَّ حرف العطف لا يكتفي ولا يتوقّف عند حُدُود المعنى الاصطلاحيّ الذّي وُجد من أجله، وإنّما يتحرّرُ من ذلك ويؤدّي معاني تُتاحُ له من خلال السّياقات والقرائن المتنوعة والمتعددة.

ثانيا: "أم"

إذ كان فريق من النّحاة يرى أنّ "أم" ليست من حروف العطف المشرّكة – وإن حصل ذلك ففي اللّفظ فقط – فإنّ ابن مالك يرى عكس ذلك بشرط عُدولها عن الإضراب ؛ يقول إنّ: "القائل: أزيد في الدّار أم عمرو ؟ عالم بأنّ الذي في الدار هو أحد المذكورين وغير عالم بتعيينه، فالذي بعد "أم" مساوٍ للذي قبلها في الصّلاحية لثبوت الاستقرار في الدّار وانتفائه وحصول المساواة إنّما هو بواسطة أم، فقد شرّكتهما في المعنى كما شرّكتهما في اللّفظ" [4].

وتداوُل حرف العطف "أم" مرهونٌ بالاستفهام والخبر، يقول سيبويه: " أمّا "أم" فلا يكون الكلام بها إلاَّ استفهاماً [...] على معنى أيّهما وأيّهم؟، وعلى أن يكون الاستفهام الآخِرُ متقطّعا من الأوّل[...] وذلك قولك، أزيد عندك أم عمرو؟، وأزيدا لقيت أم بشرًا؟ " [5].

---

[1] ينظر: ديزيرة سقّال، القطوف الدّواني في المفردات والعبارات والمعاني، دار الفكر العربي للطباعة والنّشر- بيروت-لبنان، ط1، 1997، ص132.

[2] عفّت الشّرقاوي، بلاغة العطف في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية، دار النّهضة العربية للطباعة والنّشر-بيروت-لبنان، د.ط، 1981م، ص97.

[3] عبّاس حسن، النّحو الوافي، ج3، ص 603.

[4] ابن مالك ، شرح التّسهيل، ج3، ص 348.

[5] سيبويه، الكتاب، ج3، ص 169.

ومن كلام سيبويه نُدرك أن "أم" على ضربين متّصلة ومنفصلة (منقطعة) فالمتّصلة "سميّت كذلك لأنّ ما قبلها وما بعدها لا يستغنى بأحدهما عن الآخر" [1]، ومثال ذلك قولك (أزيدٌ عندك أم عمرو ؟).

وتأتي بعد الاستفهام لطلب التّعيين بعد حُصُول الشكّ في نفسيّة المتكلّم، وذلك "بعد همزة داخلة على أحد المستويَيْن [المعطوف والمعطوف عليه]، تقول: أزيدٌ عندك أم عمرو إذا كنت قاطعا بأنّ أحدهما عنده ولكنّك شككْت في عيْنه، ولذلك يكون الجواب بالتّعيين لا بـ "نعم" ولا بـ" لا"، وتسمّى هذه معادلة لأنّها عادلت الهمزة في الاستفهام" [2].

وبذكر همزة الاستفهام المألوفة التي تسبق "أم"، فإنّه يمكن أن تسبق بهمزة التسّويّة، وسميّت كذلك لوقوعها بعد لفظة "سواء" ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[3]، وهي لا تعطف إلا جملة على جملة.

ومما سبق يمكن أن نعرّف "أم" المتّصلة بأنّها: "المسبوقة بكلام مستقل على همزة التّسوية أو على همزة استفهام يراد منها ومن "أم" التّعيين (ويكون معناهما في هذه الحالة هو: "أي" الاستفهامية) "[4].

أمّا المنقطعة "هي التي تقع – في الغالب- بين جملتين مستقلّتين في معناهما، لكل منهما معنى خاص يخالف معنى الأخرى، ولا يتوقف أداء أحدهما وتمامه على الآخر فليس بين المعنيين ما يجعل أحدهما جزءا من الثّاني" [5].

وهذا الفارق الحاصل بين "أم" المتصلة و"أم" المنقطّعة هو الذّي كان قد تفطّن إليه سيبويه حين قال: "وذلك قولك: أ عمْرو عندك أم عند زيد، فهذا ليس بمنزله: أيّهما عندك"[6].

ومن العلامات المميّزة لها عن المتّصلة حسب رأي عبّاس حسن – أنّها تكون بمعنى الإضراب إذا لم تكن مسبوقة بإحدى الهمزتين، ومن أمثلة ذلك: "هذا صوت مغنّية بارعة، أم هذا صوت مغنّ مقتدر

---

[1] العيني، حاشية الصبّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تح: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوقيفيّة، د.ط، د.ت، ج3، ص150.

[2] ابن هشام، شرح قطر النّدى وبل الصدى، ص 264.

[3] سورة البقرة، الآية 06.

[4] عبّاس حسن، النّحو الوافي، ج3، ص 585.

[5] المرجع نفسه، ج3، ص 597.

[6] سيبويه، الكتاب، ج 03، ص 172.

فقد تبيَّنت لحيته وشاربه[...]، والذّي يدلّ على إضرابه وعُدوله عن المعنى الأول إلى الثاني؛ هو ذكر اللّحية والشارب، فهما قرينة على الإضراب، وأداة الإضراب هي: "أم" "[1].

ويبدو من خلال هذا القول أنّ عبّاس حسن – وهو من المحدثين – مقتنع بما ذهب إليه بشأن دلالة "أم" المنفصلة، رغم التّحفظ الحاصل من طرف مصطفى حميدة بشأن إمكانية حدوث ذلك، يقول "وليس من المنهج العلمي الصحيح أن يَقْنع الباحث في العصر الحديث بما ردّده بعض النّحاة من أداء "أم" المنقطعة لمعنى "بل" وحدها أو بما ردّده آخرون من أدائها بمعنى "بل" مع الهمزة، ذلك لأن إحالة المعنى الوظيفي لحرف من الحروف إلى معنى حرف آخر ينافي الدّقة العلميّة المنشودة في درس حروف المعاني وخاصة حروف العطف" [2].

وإذا كان عبّاس حسن مصرّا على إفادة "أم" المنفصلة لمعنى الإضراب فإننا نجده متذبذبا في اتّخاذ حكم بشأن هوّيتها داخل أسلوب العطف، يقول: "الرأي الرّاجح أنّ "أم" المنقطعة ليست عاطفة، وإنّما هي حرف ابتداء يفيد الإضراب فلا يدخل إلّا على الجمل، أمّا الرّأي المرجوح فإنّها حرف عطف لا يعطف إلا الجمل والأخذ بالرّأي الأوّل أنسب" [3].

والشّيء نفسه نلحظُه مع مصطفى حميدة؛ فبعد استشعاره رفض المحدثين –وهو منهم- التَّصديق بإفادة "أم" المنفصلة معنى الإضراب، فإنّه في الأخير يتبنّى هذا الرأي وأكثر، يقول "فجملة القول فيما تؤدّيه أم "المنقطعة" من معنى وظيفي أنّها، حرف عطف واستفهام تؤدّي ما تؤديه همزة الاستفهام من معنى، وتزيد عليه قيامها بالرّبط المؤدّي لمعنى الإضراب عمّا قبلها، والانتقال إلى ما هو أهمّ وأجدر بالذكر على جهة الشّك" [4].

و كان بعض النّحاة القُدامى قد ذهبوا إلى كون "أم" مفيدة معنى ألف الاستفهام " فأمّا قوله جل ثناؤه:﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً﴾ [5] [...] قال آخرون: "أم" بمعنى ألف الاستفهام كأنّه قال: أحسبت"[6]، لكن هذا نجده قليل التّداول بين مشاهير النّحاة.

---

[1] عبّاس حسن، النّحو الوافي، ج3، ص 598، 599.

[2] مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص 257.

[3] عبّاس حسن، النّحو الوافي، ج3، ص 599.

[4] مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص 291، 292.

[5] سورة الكهف، الآية 09.

[6] ابن فارس، الصّاحبي، ص 87، 88.

وهناك من ذهب أبعد من ذلك ورأى بأنّها زائدة؛ جاء في كتاب الصّاحبي في فقه اللغة العربية لابن فارس: "وقال أبو زيد: العرب تزيد "أم"، وقال في قوله جلّ ثناؤه: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾[1]معناها "أنا خير"" [2].

وهذا التّضارب الحاصل – قديمًا وحديثاً- بشأن "أم" إنّما هو ناتج عن الاستعمالات المتعدّدة لها والسّياقات المختلفة التي تسلكها والدّقة التي تلفُّها.

المطلب الثاني: الحروف المشرّكة لفظا لا معنى

وقد أجمع جمهور النّحاة على أنّ بعضا من حروف العطف وهي "بل"، "لا" و"لكن" تشرّك المعطوف والمعطوف عليه لفظا دون المعنى.

يقول ابن عقيل في شرحه:

وأَتْبَعْتَ لفظًا فحسبُ: بل لا   لكن ك "لم" يبدُ امرؤ لكن طَلَا "[3].

1-"بل":

"بل" أداة ربط بين طرفين لكن تعلّقها دائما يكون بالثاني في جميع الحالات، "فلا يصحّ الوقوف عليها، لأنّها مفتقرة إلى ما بعدها، فإذا تلفّظ المتكلّم ب"بل" توقّع المتلقّي كلامًا بعدها" [4].

وهذا ما عبّر عنه ابن فارس في كتابه "الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة "بقوله :"بل إضراب عن الأوّل وإثبات للثّاني" [5]، فيصير ما قبلها بمثابة المسكوت عنه بشرط أن تكون مسبوقة عادة ب "نفي" أو "نهي"؛ وهناك من أضاف الإيجاب أو "الأمر"، وأمّا ما بعدها فيكون إمّا مفردا أو جملة، يقول الرّضي الأستراباذي في "شرحه على الكافية": "وأمّا "بل"، فإمّا أن يليها مفرد، أو جملة، وفي الأوّل هي لتدارك الغلط، ولا يخلو أن تكون بعد نفي، أو نهي، أو بعد إيجاب أو أمر" [6].

(1) سورة الزخرف، الآية 58.
(2) ابن فارس، الصّاحبي، ص 88.
(3) ينظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج2، ص 234.
(4) مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص 352.
(5) ابن فارس، الصّاحبي، ص 103.
(6) الرضي الأستراباذي، شرح الرضي على الكافية، ج4، ص 417.

وقد اختلف النّحاة بشأن المعنى الذي تؤدّيه "بل" مع ما بعدها عندما تسبق بنهي أو نفي، نحو قولك: ما نجح عليّ بل سعيد، ولا تكافئ عليّا بل سعيدا؛ فإنّ جمهور النّحاة يرون أنّها في المعنى ك"لكن"؛ فمعنى الجملة الأولى أنّ عليا لم ينجح وإنما الذي نجح هو سعيد، ومع الثّانية أنّ المخاطب منهي عن مكافأة علي ومأمور بمكافأة سعيد، جاء في شرح ابن عقيل: "يعطف ببل في النّفي والنّهي، فتكون ك"لكن" في أنّها تقرّر حكم ما قبلها، وتثبت نقيضه لما بعدها نحو: ما قام زيد بل عمرو ولا تضرب زيدًا بل عمرًا، فقرّرت النّفي والنّهي السّابقين، وأثبتت القيام لعمرو، والأمر بضربه" [1].

ونجد الشّيء نفسه في "شرح التّسهيل" لابن مالك ،يقول: "فما بعد "بل" مقرّر على كل حال فإن كان قبلها نهيٌ أو نفيٌ، فهي بين حُكمين مقرّرين كقوله تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾[2]، وكقولك لا تضرب خالدا بل بشرا، وما قام زيد بل عمْرو، فخالد قد قُرّر النّهي عن ضربه، وبشر قد قُرّر الأمر بضربه، وزيد قد قرّر نفي القيام عنه، وعمرو قد قرّر إثبات القيام له، وهذا هو الصّحيح "[3].

غير أنّ هناك من يرى أن "بل" ناقلة لمعنى النّفي والنّهي لما بعدها،كقولك في حالة النّفي: ما نجح عليٌّ بل سعيدٌ، تصير ما نجح عليٌّ بل نجح سعيدٌ، وقولك في حالة النّهي: لا تكافئ عليًّا بل سعيدًا تصير بمعنى لا تكافئ عليًّا بل كافئ سعيدًا.

يقول في هذا الصّدد فاضل صالح السّامرائي، نقلا عن "المبرّد": وأجاز المبرّد أن تكون بعد النّفي والنّهي للإضراب أيضا فتكون ناقلة معنى النّفي والنّهي إلى ما بعدها، وعلى هذا يكون معنى "ما أقبل محمدٌ بل خالدٌ"، ما أقبل محمدٌ بل أقبل خالدٌ، فإقبال محمد حُكمه كالمسكوت عنه، يحتمل أن يكون أقبل أولم يكن أقْبل وما بعدها منفيّ، وكذلك المعنى في النّهي نحو :لا تضرب محمدًا بل لا تضرب خالدًا"[4].

(1) ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج2، ص 243.
(2) سورة آل عمران، الآية 169.
(3) ابن مالك، شرح التسهيل، ج3، ص 368.
(4) فاضل صالح السّامرائي، معاني النحو، ج3، ص 259.

وفي حالة ورودها بعد "إيجاب" (خبر مُثبت)، أو "أمر"، فإنّه يتم تجاوز ما قبلها إلى ما يليها "فتفيد الإضراب عن الأوّل، وتنقل الحكم إلى الثّاني حتّى يصير الأول كأنه مسكوت عنه، نحو: "ما قام زيد بل عمرو، واضربْ زيدًا بل عمرًا" [1].

فإذا كان هذا ما تفيده "بل" إذا أتى بعدها مفرد، فإنّ المعنى يتغير إذا جاءت بعدها جملةٌ؛ حيث يرى جمهور النّحاة أنّها ليست عاطفة. جاء في كتاب "كفاية المباني في حروف المعاني": "فإن أتى بعدها جملة، فهي حرف ابتداء على الصحيح وليست عاطفة، وحينئذ يكون معناها الإبطال* ، لما قبلها، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ ﴾[2]، أو يكون معناها الانتقال** من غرض لآخر من غير إبطال، كقوله تعالى: ﴿قدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى .وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى .بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[3]"[4].

2-"لا":

إذا قلت: "كافأتُ محمدًا لا سعيدًا"، فالسّامع يتبادر إلى ذهنه مباشرة أن المتكلّم قصد نفي حصول المكافأة لسعيد وإثباتها لمحمد، وهذا هو المشهور عن وظيفة "لا" ،"ويبدو أن في كل لغات البشر أداة تضارع "لا" في دلالة النّفي ،لأنّ معنى النّفي هو من المعاني البدائية التّي يُفترض أن تعرفها كل لغة منذ طفولتها" [5].

وقد وظّف العرب هذه الخصيصة المتوفّرة في الحرف "لا" لحاجتهم الكبيرة إليها بغرض دفع الإبهام عن السّامع، جاء في شرح "المفصل" لابن يعيش: "وأما لا فتُخرِج الثاني ممّا دخل فيه الأوّل وذلك قولك: ضربتُ زيدًا لا عمرًا ومررت برجل لا امرأة، وجاءني زيد لا عمرو" [6].

فإذا كانت "لا" تفيد النّفي الخالص فإن اللغة العربية وجدت "هذه الدّلالة للتوظيف عند إرادة المتكلم قلب الحكم إلى نقيضه أو إلى ما هو في حكم نقيضه، ويبدو لي أنّ العربيّة لا توظّف دلالة النّفي

[1] ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج2، ص 243.
* وهو أن تأتي بجملة تبطل معنى الجملة السّابقة، السامرائي، معاني النحو، ج3، ص 257.
[2] سورة المؤمنون، الآية 70.
** فهو أن ينتقل من غرض إلى غرض آخر مع عدم مراعاة إبطال الكلام الأول، ، السامرائي، معاني النحو، ج3، ص 258.
[3] سورة الأعلى، الآية 14-16.
[4] البيتوشي عبد الله الكردي، كفاية المعاني في حروف المعاني، دار اقرأ للطباعة والنشر والتوزيع-دمشق-سورية، ط1، 2005م، ص91.
[5] مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص 418.
[6] ابن يعيش، شرح المفصّل، ج8، ص 104.

الكامنة في "لا" في مجال العطف إلا عند إرادة المتكلم تأكيد قلب حكم يعتقده المخاطَب بعد إثبات ما ينقُضه"[1].

وحتّى تؤدّي "لا" تلك الوظيفة لابد أن تأتي بعد إثبات؛ جاء في "شرح قطر النّدى وبلّ الصدى" لابن هشام :"وللرّد عن الخطأ في الحكم بـ "لا" بعد إيجاب[...]تقول، جاءني زيد لا عمرو ردّا على من اعتقد أنّ "عمرا "جاء دون" زيد" أو أنّهما جاءاك معا"[2].

وهذا يستلزم مباشرة أنّها لا تكون عاطفة في حالة حدوث عكس ذلك يقول السّهيلي :"أمّا الكلام المنفى فلا يُعطف عليه بلا، لأنّ نفيَك الفعل عن "زيد "، إذا قلت: ما قام زيد، لا يُفهم منه نفيُه عن "عمرو فيؤكَّد بلا" [3].

وبالإضافة إلى شرط الإيجاب الّذي اشترطه النّحاة في التركيب فإن" السّهيلي" أضاف شرطا آخر يُساهم إلى حدّ بعيد في إيصال المعنى إلى المخاطب وهو: "أن يكون الكلام قبلها يتضّمن مفهوم الخطاب نفي الفعل عما بعدها كقولك: جاءني رجل لا امرأة، ورجل عالم لا جاهل، ولو قلت: مررت برجل لا زيد، لم يجُز وكذلك مررت برجل لا عاقل لأنّه ليس في مفهوم الكلام ما ينفي الفعل عن الثّاني، وهي لا تدخل إلا لتوكيد نفي" [4].

وزيادة على شرط "الإيجاب" الواجب توفّره حتى تكون "لا" عاطفة، فإن النّحاة اشترطوا شروطا أخرى أشهرها[5]:

- أن يكون المعطوف مفردا لا جملة، كقول الشاعر:

قلْ لِبَانٍ بقولٍ رُكنَ مَـمْلكةٍ على الكَتائبِ يُبْنى الملكُ لا الكُتبِ.

- ألاّ يكون أحد المتعاطفين داخلا في مدلول الآخر ومعدودا من أفراده التي يصدق عليها لفظه فلا يصحّ: مدحتُ رجلًا لا قائدًا.

- ألاّ تقترن كلمة "لا" بعاطف.

(1) مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص 419.
(2) ابن هشام، شرح قطر النّدى وبل الصّدى، ص 264، 265.
(3) السّهيلي أبو القاسم، نتائج الفكر في النّحو، ص 203.
(4) المرجع نفسه، ص 202.
(5) ينظر: عبّاس حسن، النّحو الوافي، ج3، ص 618-620.

غير أن المهتمّين بالكشف عن مكنونات معاني حروف العطف من خلال اطلاعهم على التّراث العربي والقرآن الكريم لاحظوا أنّ: "العطف بـ "لا" قليل في العربيّة عموما ولم يقع في القرآن الكريم ألبتّة". [1]

إلاّ أنّ مصطفى حميدة يوجِد أعذارا وأسبابا لعدم ورودها في القرآن الكريم بإرجاعه ذلك إلى أغراض بلاغية يستدعيها السّياق، يقول :"وقد لاحظت أنّ القرآن الكريم يعدِل عن استعمال "لا" العاطفة، ويستعمل "غير" في مكانها؛ وذلك لأغراض بلاغية يقتضيها السّياق، نحو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ، أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[2] فاستعمال "غير" هنا ينفي عن الأوثان الّتي عبدوها دخولها في جنس الأحياء، واستعمال "لا" لا يؤدّي هذا الغرض" [3].

وما نخلص إليه بشأن دلالة "لا" هو أنّ تناول معانيها بالدراسة عمل متشعّب ودقيق، حيث شغل بال النحّاة واستفزّهم في كثير من الأحيان، وقد أورد جلال الدّين السّيوطي خبرا طريفا في هذا مفاده أنّ الشّيخ السّبكي ألّف كتابا في هذا الباب كتابا سمّاه :"نيل العلا في العطف بِلا"[4].

لكنْ رغم ذلك يبقى البحث قائما بشأن معاني هذا الحرف من خلال الاستعانة بالدراسات اللّسانية الحديثة.

3-"لكن":

أجمع النّحويون على أنّ "لكن" حرف عطف بمعنى الاستدراك* تقول: ما جاء العميدُ لكن نائبةُ، وتداركًا لما قد يحصل من توهُّم في نفسيّة المخاطَب بمجرّد سماعه عبارة: ما جاء العميد جيء بـ"لكن" لتخبر المخاطَب أنّ الأمر ليس كما يعتقد، يقول عباس حسن: "أنّ المعنى الأصلي الكامن في "لكن" وهو: "ليس كذلك" موافق لمعنى الاستدراك معجميّا واصطلاحيّا نحوًا وبلاغةً[...]تأتي هي وما بعدها

(1) عصام عبد المنصف أبو زيد، فاعلية المعنى النحوي في بناء الشعر عند محمود حسن إسماعيل، ص 162.

(2) سورة النّحل، الآية 20، 21.

(3) مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص 425.

(4) ينظر: السّيوطي جلال الدين، الأشباه والنظائر، تح: محمد فاضلي، دار الأبحاث للتّرجمة والنّشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007 م، ج2، ص 457، 465.

* تعقيب الكلام بإزالة بعض الخواطر والأوهام التي ترد على الذّهن بسببه، عبّاس حسن، النحو الوافي، ج3، هامش ص 616.

لإزالة ما قد يعتري المخاطَب من لَبس في فهم ما جاء قبلها من حكم، وهذا المعنى قريب من معنى "ليس كذلك" " [1].

وهذا الحرف لا يؤدّي معنى العطف إلا بتوفر شروط ثلاثة: [2]

1- أن يكون المعطوف به مفردا لا جملة، نحو: ما قطفتُ الزّهر لكن الثمر.

2- ألاّ يكون مسبوقا بالواو مباشرة، نحو: ما صَافحْت المسيء لكن المحسن.

3- أن يكون مسبوقا بنفي أو بنهي، نحو: لا تأكل الفاكهة الفجّة لكن النّاضجة، فأمّا إذا اختلّ الشّرط الأوّل وتكون حينها قد" وَلِيَتها جملة فهي ليست عاطفة، وإنّما هي حرف ابتداء يفيد الاستدراك نحو: ما جاءني خالد لكن جاءني عمرو" [3].

وأمّا إذا سُبقت بالواو فإنّها ستفقد صفة العطف؛ ذلك أنّه لا يمكن أن يقترن حرفا عطف في تركيب واحد. جاء في "نتائج الفكر في النحو" للسّهيلي:" واعلم أن "لكن" لا تكون حرف عطف مع دخول الواو عليها، لأنه لا يجتمع حرفان من حروف العطف. فمتى رأيت حرفا من حروف العطف مع الواو. فالواو هي العاطفة به [...]لئَلا يُتوهم أنّ الواو جامعة" [4].

وبالإضافة إلى ما ذُكر فإنّ معنى العطف لا يستقيم لو جاء ما قبل الحرف العاطف موجبا وإنّما غرضك من توظيفها أن "تُوجب بها بعد النّفي ولا يجوز جاءني زيد لكن عمرو، لأنّه يجب أنّ الثّاني فيها على خلاف معنى الأوّل من غير إضراب، فإذا قلت: جاءني زيدٌ فهو إيجاب فإذا وصلته فقلت لكن عمرو صار إيجابا أيضا وفسد الكلام ولكن نقول في مثل هذا جاءني زيد لكن عمرو لم يأت حتّى يصير ما بعدها نفياً والّذي قبلها إيجابا لتحقيق الاستدراك" [5].

وبالرغم من الشّروط التي وضعها جمهور النّحاة بشأن "لكن" حتى تؤدّي معنى العطف والاستدراك إلا أن فريقا من النّحاة تجاوز تلك الشّروط وجعل "لكن" تشارك حروفا أخرى في المعنى؛ حيث "أجاز

---

(1) عبّاس حسن، النّحو الوافي، ج3، ص 616.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ج3، ص 616-617.

(3) السّامرائي، معاني النّحو، ص 257.

(4) أبو القاسم السّهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص 202.

(5) ابن يعيش، شرح المفصّل، ج8، ص 106.

الكوفيون مجيء "لكن" العاطفة للمفرد بعد الموجب" أيضا، نحو: جاءني زيدٌ لكن عمرُو حملا على "بل" وليس لهم به شاهد، وكون وضع "لكن" لمغايرة ما بعدها لما قبلها يدفع ذلك" [1].

وجاراهم في ذلك ابن مالك في إفادتها الإضراب بالقول: "ولكن قبل المفرد بعد نهي أو نفي كَبَل" [2].

وما يمكن قوله أن "لكن" تكون عاملة (عاطفة) وفق الشّروط الّتي أجمع عليها النّحاة بغرض تحقيق معنى العطف والاستدراك.

أمّا الإخلال بهذه الشّروط كجعلها عاطفة للمفرد بعد إيجاب أو جعلها مؤدّية لمعنى الإضراب- كما هو عند الكوفيّين – فإنّه يفتقد إلى الحجّة بل يجعل معاني حروف العطف تتداخل فيما بينها؛ الأمر الّذي يُحدث إبهاما لدى المتلقّي.

المطلب الثالث: حذف بعض حروف العطف

قد يُحذف حرف العطف إذا كان المعنى في مأمن من اللّبس؛ ويحدث ذلك عادة – مع بعض الحروف كالواو والفاء و"أو".

نقول (تخصّص نقدا مصلحية علوم اللّسان)، والمعنى تخصّص نقدا أو مصطلحية أو علوم اللّسان والمقصود من ذلك الإباحة، ويحتمل كذلك معنى الإضراب، أي :نقدا بل مصطلحيّة بل علوم اللّسان.

جاء في كتاب "النّحو الوافي" لـ عباس حسن: "يصحّ حذف "أو" عند أمن اللّبس؛ نحو: وسائل السّفر متنوعة؛ يتخيّر منها كل امرئ ما يناسبه، فسافر بالطائرة- القطار- الباخرة- السّيارة" [3].

كما يُورد السّامرائي في كتابه "معاني النّحو" أمثلة عن حذف حرف العطف (الواو) مع إشارة إلى احتمال إفادة التّركيب لمعنى الإضراب يقول: "قد يُحذف حرف العطف للدّلالة، وذلك نحو (ذهبت إلى السّوق فاشتريت خبزا لحما فاكهة) والمعنى: فاشتريت خبزا ولحما وفاكهة، ويحتمل نصب اللّحم والفاكهة على أنّه يدلّ على إضراب أيضا أي فاشتريت خبزا بل لحما بل فاكهة، فيكون الخبز واللّحم كالمسكوت عنهما، يحتمل أنّه اشتراهما ويحتمل أنه لم يشترهما" [4].

---

[1] الرّضي الأسترابادي، شرح الرّضي على الكافية، ج4، ص 420.

[2] ابن مالك، شرح التّسهيل، ج3، ص 367.

[3] عبّاس حسن، النّحو الوافي، ج3، ص 611.

[4] فاضل صالح السّامرائي، معاني النّحو، ج3، ص 269.

ويكثر حذف الفاء في مختلف التّراكيب، ذكر ابن الشّجري في أماليه أنّ "الفاء العاطفة كثيرا ما تُحذف في الكلام وفي الشّعر، وحذفها في التّنزيل كثير، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ﴾[1] المعنى: فقالوا أتتّخذنا هزوا فقال، أعوذ بالله"[2].

وقد شدّ حذف العاطِف انتباه المفسّرين ومنهم "الزّمخشري"؛ حيث لم يخف إعجابه بأسلوب الفصل بل اعتبره وصلا معنويًّا يقول معلّقا على قوله تعالى: ﴿قلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ، مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾[3]؛ فإن قلت: أيّ فرق بين إدخال الفاء ونزعها في (سوف تعلمون؟ قلت: إدخال الفاء: وصلٌ ظاهرٌ بحرف موضوع للوصل ونزعها، وصل خفيٌّ تقديري بالاستئناف الّذي هو جواب لسؤال مقدّر، كأنّهم قالوا: فماذا تكون إذا عملنا نحن على مكاننا وعملت أنت ؟ فقال سوف تعلمون، فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب"[4].

وبالرغم من هذا الانبهار الحاصل من "الزمخشري" بشأن حذف حروف العطف واعتباره خصيصة بلاغيّة توحي بالإيجاز، غير أنّ هناك من اعتبر ذلك نقيصة وإجحافا في حق الحرف الّذي ما وجد إلاّ لتأديّة معنى معيّن، بل أنّ الفهم سيُشْكل على المخاطَب بسبب هذا الحذف" وهو أنّك لو حذفت حرف العطف لتجاوزت قبح الإجحاف وكلفة الإشكال، وذلك أنّك لو حذفت الواو في نحو قولك: ضربتُ زيدا وأبا عمرو فقلت: ضربت زيدا أبا عمرو، لأوهمت أن زيدا هو أبو عمرو، ولم يُعلم من هذا أنّ زيدا غير "أبي عمرو" فلما اجتمع إلى الإجحاف الإشكال قَبُحَ الحذف جدًّا"[5].

---

(1) سورة البقرة، الآية 67.

(2) ابن الشجري بن محمد العلوي، أمالي ابن الشّجري، تح: محمود محمد الطّناحي مكتبة الخانجي-القاهرة-مصر، ج 2، ص 145.

(3) سورة الزّمر، الآية 39-40.

(4) الزّمخشري محمود بن عمر، الكشّاف، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض وفتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان- الرياض-المملكة العربية السعودية، ط1، 1998، ج3، ص 231.

(5) ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، ج2، ص 280.

وهي الخلاصة نفسها التي انتهى إليها "السّهيلي" حيث لم يجوّز إضمار حروف العطف[...] لأنّ الحروف أدلّة على معان في نفس المتكلّم، فلو أضمرت لاحتاج المخاطب إلى وحي يُسفر به عمّا في نفس مكلِّمه»[1].

والرأي الرّاجح أن اللجوء إلى الحذف في الكلام لا يعبّر عن عجز من القائل، ولا عن عجز في المادّة العاطفة؛ إنمّا هو سلوك تنحو نحوه اللّغات جميعها بغرض الاختصار والإيجاز، فلا يعدّ الأمر نقيصة أمّا حصول الالتباس في المعنى على السّامع فالأمر مردّه إلى حالات معيّنة لا يقاس عليها، وذلك كأن تغيب القرينة بنوعيها.

ولا ننسى أنّ السامع (المخاطب) له نصيب من مسؤولية فهم وإدراك ما يوحي به الكلام من خلال سياقه وقرائنه؛ وهذا ما يسعى إليه الدّرس اللّساني الحديث من خلال الأهميّة الكبرى الّتي أعطاها للقارئ باعتباره مؤلفا ثانيا.

[1] السّهيلي، نتائج الفكر في النّحو ، ص 207.

المبحث الثاني: استعمالات حروف العطف بين الصّواب والخطأ

المطلب الأول: الأخطاء الشائعة في استعمالاتها

تتقارب معاني بعض حروف العطف، بل تتداخل فيما بينها، الأمر الذي جعل عامّة النّاس وحتّى المتعلّمين يخلطون بين المعاني، وبالتّالي وقوع فساد في المعنى بسبب الغلط في توظيف الحرف المناسب، وفي أحايين أخرى يشكُلُ عليهم تحديد المعطوف عليه وعلامته الإعرابية، وذلك بسبب الخطأ في تحديد الحركة الإعرابية للمعطوف.

فقد عُرض عنوان المذكّرة: "حروف العطف ودلالاتها في القرآن الكريم" على عيّنة من الطّلبة اختيروا بطريقة عشوائية، وطلب منهم ضبط المعطوف بالشكل(لفظة دلالات) فكانت الإجابة في معظمها بكسر تاء (دلالات)، والسّبب في ذلك اعتقادهم أنّ المعطوف عليه يأتي دائما مباشرة قبل الحرف العاطف، وهو لفظة (العطف)؛ ومنه جعلوا المعطوف مكسورا لأن القاعدة تقتضي تبعيّة المعطوف للمعطوف عليه في الإعراب، ومثل ذلك قولهم: "والحداثة أوّلُ الأمر وابتدائِه" بدل وابتداؤُه، ولو حذف المضاف إليه وعرّفت لفظة (عطف) ب:"ال" التعريف، بحيث يصير التركيب: "الحروف ودلالتها"، لزال الإبهام عندها.

وقد تُلازم المعطوف عليه حركة إعرابية معيّنة-كالفتح- فيزداد الإشكال حينها على القارئ فالعنوان: "كان وأخواتُها" غالبا ما يُتلفّظ: (كان وأخواتِها بكسر التّاء)، والأقبح من ذلك فتحها.

أمّا إذا كان المعطوف عليه لا تظهر الحركة الإعرابية في آخره كقولنا: (التّقوى ومراتبها) يصعب على القارئ، أيّ الحركتين يستعمل في آخر لفظة مراتب(المعطوف)؟ أهيّ الضّمة أم الكسرة؟، والأمر يكون أيسر لو اهتدى القارئ إلى تحديد حركة إعراب المسند، بغضّ النّظر عن حركة إعرابه المضمرة.

ومن الأخطاء الشّائعة اعتقاد الكثير أنّ المتعاطفين إذا تكرّرا، فإنّ المعطوف عليه هو الّذي يأتي قبل حرف العطف مباشرة؛ والصّواب أنّ المعطوف عليه هو الأوّل.

تقول: (دَرَسْنا القِياسَ والمنهجيةَ والترجمةَ ثم التعليمة فعلمَ القراءات).

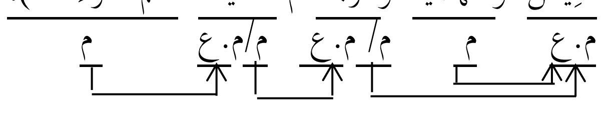

يقول عبّاس حسن: "وأنّ المتعاطفين إذا تكرّرا كان المعطوف عليه واحدا هو الأوّل إلّا إذا كان حرف العطف يفيد التّرتيب مثل: (الفاء "وثم")، فإنّ المعطوف عليه واحد، هو ما قبل حرف العطف مباشرة"[1]، ففي الجملة السّابقة نجد أنّ المعطوفين "المنهجيّة والتّرجمة" معطوفتان على المعطوف عليه "القياس"بالحرف العاطف "الواو"، في حين لما كان الحرف العاطف هو "ثمّ" والفاء عُطِفت كلّ من "التّعليميّة وعلم القراءات" مباشرة على ما سبق كلّ واحدة منها.

ومن الأخطاء الشائعة أيضا في استعمالات الواو، ما ورد في الأثر بشأن ضبط أواخر كلمات الآية في قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾[2] حيث قرأها أحدهم بحضور أعرابي، بكسر آخر لفظة (رسول) ظنًّا منه أنّها معطوفة على ما قبل الواو مباشرة (المشركين).

حينها تبرأ الأعرابي ممّا تبرأ منه الله تعريضا بالقارئ الذّي أخطأ في قراءته حسب القراءة الخاطئة التي سمعها، وهذا خطأ جلل يمسّ العقيدة، الأمر الذي استفزّ الخليفة الرّاشد عمر- رضي الله عنه- فأوحى له بضرورة التّفكير في إيجاد حل جّذريّ لمثل هذا التّحريف في قراءة القرآن الكريم.

ومنها كذلك ما ورد على لسان طبيب قوله: (من الأسباب الرئيسة في ارتفاع نسبة الشّحوم الثلاثيّة في الدّم: عدم ممارسة الرياضة والتدخين والمشروبات الكحولية).

والفهم اللّغوي السّليم لما قاله الطّبيب هو أنّ عدم ممارسة الرياضة، وعدم التّدخين، وعدم تناول المشروبات الكحولية من أسباب تواجد هذا المرض، وهذا فساد في المعنى فكأنه يدعو إلى تعاطي التّدخين وتناول المشروبات الكحولية حتى لا يصاب بالمرض.

والأصحّ أن يقول: عدم ممارسة الرّياضة وتعاطي التّدخين وتناول المشروبات الكحوليّة من أسباب ظهور هذا المرض وتفاقمه، والذي أوقع صاحب القول في اللّحن؛ هو عدم انتباهه للمعطوف عليه المسبوق بلفظة (عدم).

وبذكر العاملين المحذوفين للمعمولين، التّدخين، والمشروبات الكحولية وهما المصدران: "تعاطي وتناول"، زال اللّبس واتّضحت الفكرة.

(1) عبّاس حسن، النحو الوافي، ج3، ص 629.

(2) سورة التوبة، الآية 03.

وفي هذا الشّأن يورد عبّاس حسن على لسان أحدهم: "قضَينا في الحديقة يومًا سعيدًا: أكلْنَا فيه أشهى الطّعام، وأطيبَ الفاكهة، وأعذبَ الماء)، فكلمة (أطيبَ) معطوفة على (أشهى)، أي أكلنا أشهى الطّعام، وأكلنا أطيبَ الفاكهة، أمَّا كلمة (أعذبَ) فلا يصحّ – في الرأي الأغلب – عطفها على أشهى، إذ لا يصحّ أن يقال: أكلْنا أعذب الماء، لأنّ أعذب الماء لا يؤْكل، وإنّما يشربُ، ولهذا كانت كلمة: (أعذب) معمولة لعامل محذوف تقديره شربَ، أي: وشربْنَا أعذب الماء، فالجملة بعد الواو معطوفة على الجملة التي قبلها وهي: أكلنا، فالعطف عطف جملة على جملة" [1].

ويجري استعمال حرف العطف (الواو) في بعض التراكيب دُونما حاجة إليه، ومن أمثلة ذلك: ما نَلمسُه في التّركيب التّالي: (حيث أنّ الجامعة سبق وَأنْ نظَّمت مُلتقًى عِلميًّا في هذا الشَّأن...خُصُوصًا وَأنّ تاريخ تنظيمه يَتَزَامَنُ مع إحياء ذكرى يَوم العِلم)، فبالإمْكان حذْف حرف العطف من التّركيب مع بقاء المعنى مستقيمًا، لأنّ الواو أُقحِمت إقْحامًا.

ومن الأخطاء الشّائعة الواردة على ألسنة الصِّحفيّين بشأن الواو قولهم: (اِسْتَقْبَلَ رئِيسُ الجُمهورية ووَزيرُ الدّفاع سَفيرَ تونس).

فلّما أُقحِمت الواو في التّركيب خُيِّلَ للمستمع أنّ الذّي اسْتَقبل السّفيرَ شخصِيتان هما الرّئيس والوزير؛ والحقيقة أنّ الذّي استقبله هو شخص واحد (الرّئيس)، يَجْمَع بين وظِيفَتَيْ الرِّئاسَة والدّفاع والصّواب، استقبل رَئِيسُ الجمهوريةِ وزيرُ الدّفاع سفير تونس، مع الإشارة هنا إلى أن الواو العاطفة هذه قد تكون ضرورية في هذه الجملة إذا كان دستور البلاد يفصل بين المنصبين.

ويُلاحظُ أنّ الخَلْط بين معاني حروف العطف أكثر ما يكون بين "أو" و"أم"؛ حيث يجرى على ألسنة النّاس عندما يُوردُون خبرًا غير مألوف قولهم "صدّق أم لا تُصَدّقْ" وهم يقصدون من وراء ذلك إعطاء الحرّية للمستمع في تصديق الخبر من عدمه أي (الإباحة)، لكنّهم أخطؤوا الأداة فجاءَ المعنى للتّعيين، وهذا فسَادٌ فيه.

[1] عباس حسين، النحو الوافي، ج3، ص 563، 564.

ويكثُر مثلُ هذا الخطأ حتى بيْن المتأَدّبين: "فيقولون (أحضَر محمّد أو خالدٌ؟ بمعنى (أحضَر محمدٌ أم خالدٌ؟) ويُجيبون عن الاثنيْن بالتّعتين فيقولون (حضَر محمدٌ) أو (حضَر خالدٌ)، وهذا غير صَحيح، وذلك لأنّ السّؤال بــ "أم" يُقْصَد به التعيين ولا يُقصَدُ به (أو)»[1].

وقد يتداخل المعنى الذي تؤدّيه الواو مع معنى الفاء فيُقال (الّذي عضّني وضربْتُه الكلبُ)، حيث أفادت الواو – في التركيب – مجرّد الجمع بين المتعاطفيْن لا غير؛ في حين أنّ المعنى يوحي بوجود فعْل وردِّ فعلٍ سريعٍ؛ والصّواب أن يعبّر عن ذلك بالفاء، فيقال (الّذي عظّني فضربته الكلب) لأنّ العضّ علّة لوقوع الضّرب " فعُطف بالفاء لأنّ المعلول ينبغي أن يقع ثاني العلّة بلا مُهلة، وكذلك "الّذي ضربتهُ فغضَب زيدٌ" لأنّ الضّربَ علّة الغَضب ولو قلتَ، الّذي أكرَمني وشكرتُه زيدٌ، لم يُفِدْ هذا الكلام أنّ الإلزام علّة الشّكر، كما يفيدُه العطف بالفاء، وإنّما كان يكون معناه أنّه وقع الإكرامُ منهُ، والشّكر منك غير مُسَبِّبٍ أحَدهما عَن صَاحِبِه كان، أوْ مُسبّبا عنه، بل وقعَا منكما معا" [2].

أمّا بالنّسبة للأخطاء الشّائعة في استعمالات "حتى" مع المعطوف فإنّه من المفروض أن يكون جزءا من المعطوف عليه؛ غير أنّهم لا يتقيّدون بالقاعدة فيقولون مثلا: (أطعمتُ المسافرين حتّى حيواناتهم) فالحيوانات ليْسَت جُزْءًا من المسَافرين والصّواب أنْ يُقال مثلا (أطعمت المسَافرينَ حتّى أطفالهم)، أمّا إذا كان المقصود هو إشراكُ الحيوانات في الإطعام، فالصّواب أن يُقال: أطعمت المسَافرين وحيواناتهم. جاء في "معاني النحو" لفاضل صالح السّامرائي "ولا تقول: حضَر الرّجالُ حتّى النّساء ولا أكلتُ الفاكهةَ حتّى السّمكَ، لأنّ النّساء لسْن جُزءًا من الرّجال والسّمك ليْسَ جُزءًا من الفاكهة"[3].

وكثيرًا ما نُصادِفُ أخطاء في كيفيّة ربط المعطوفَيْن بعضهما ببعض، حيث يُعطف الاسم على الفعل والعكس، فيقال (الإنسان يتأثر ويؤثّر في محيطه الاجتماعي واكتشاف ومعرفة بيئته)؛ حيث تمَّ عطفُ الاسمين (اكتشاف ومعرفة) على الفعل (يتأثّر)، والصّواب القول: ويكشف ويَعرفُ بيئته لأنّ القاعدة تقتضي عطف الفعل على الفعل والاسم على الاسم، أمّا إذا أُريدَ عطفُ الاسم على الاسم في هذا التركيب فإنّه يقال: يتميز الإنسان بالتأثّر والتأثير واكتشاف بيئته ومعرفتها، يَقُول المبرّدُ : "اعلم أَنك

---

[1] السّامرائي، معاني النحو، ج3، ص 222.

[2] ابن جني أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، ج1، ص 263.

[3] السّامرائي، معاني النحو، ج3، ص 243.

لا تعطف اسمًا على اسم. ولا فعلًا على فعل في مَوْضِع من العربيّة إلاّ كان مثلهُ، تقول: مررت بزيْد وعمروٍ، ورأيت زيدًا وعمرًا، وأنا آتيك وأُكرمُك، ولا تَذْهَبْ فَتَنْدَم»[1].

وما نخلص إليه بشأن الأخطاء الحاصلة في استعمالات حروف العطف، هو أنّ الأمر يَعُودُ إلى سَبَبَيْن رئيسيْن:

أمّا الأوّل فمردّهُ إلى طبيعة حروف العطف ذاتِها، التّي تتميّز بالدّقةِ وكذا التّقارب والتداخل بَيْنَ معانيها.

وأمّا السّبب الثاني فيتمثّل في المستعْمِل لهذه الأدوات؛ حيث نَجد أنّ هذا الأخير يَعتَقِدُ أنّ المعطوف عليه هو الذي يأتي مباشرة قبل حرف العطف، كما أنّ المتعلم غالبًا ما يبْقَى عاجزًا عن إدراك العلاقة المعنويّة القائمة بين رُكْنِي العطف، بسبب إهمال عنصُر السّياق ومختلف القرائن والاكتفاء بالبنْية الظّاهرة دون المضمرة.

ونجد نصيبًا من هذه الأخطاء يعودُ بالدّرجةِ الأولى إلى خللٍ في كيفية تقديم درس حروف العطف للنّشء.

المطلب الثاني: نظرة المحدثين إلى موضوع العطف

يقوم النّحو العربي على نظام تقعيدي صارِم، الأمر الّذي جَعل فهم قواعده وتوظيفها أمرًا صعب المَنَال على المتعلّمين؛ مما عجَّلَ بظهور أصواتٍ شاذَّة – في وقت مُبَكّر- داعية إلى تيسره وعلى رأسهم "ابن مضاء الأندلسيّ"، لكنّ هذه الأصوات تعَالَت أكثر في العصر الحديث حيث ظهرت نُخْبة من نحاة العرب والمهتمّين بطرائقِ التّعليم تدعو إلى تَيْسير النّحو ظنًّا منها أنّ الفكرة هي طَوقُ النّجاة.

وبمَا أنّ بَابَ العطْف هو جُزء من هذه المنظومة النّحويّة التُّراثية فقد نَالَ جُزءًا من هذه الدّعوة، غيرَ أنّهَا انحصرت في أمور شكلية لا غَيرَ باستثناء بعض الأصوات التّي أرادتِ الاستفادة من الدّراسات الحَديثة في مجال اللّسانيات ومختلف النّظريات التّعليمية.

وقد وجد النحاة المحْدَثُون – الدّاعُون إلى ضرورة إعادة النّظر في المنظومة النّحوية – في بعض أفكار أو خرَجَات أو سَقَطاتِ بَعض النّحاة القُدامى موْجَة رَكِبُوهَا، يقول إبراهيم مصطفى "وقَدْ أَغْنَانَا

---

[1] المبرّد أبو العبّاس ، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة- القاهرة- مصر، ط3، 1994، ج4، ص 387.

الإمامُ الرَّضِيُّ بَحْثَ هذه الأبْواب»[1]؛ ويقصد بذلك مختلف أقسام الدّرس النّحوي التي جُمعت في بابٍ واحدٍ كَبَاب التّوابع؛ حيث كان الرّضيّ قَدْ أشار في حديثه عن التّوابع —على الرغم من تركه بَاب الاجتهاد والنّقد مفتوحًا — إلى وجُودِ تقارُب وتشابُه بين قسميْنِ منه بقوله «وأنَا إلى الآن لَمْ يظهرْ لي فَرْقٌ جَليٌّ بَيْن بَدَل الكلّ منَ الكلّ وبين عطف البيان، بلْ لا أرى عطف البيان إلاّ البدل كما هو ظاهر كلام سَيبويه"[2]؛ حيث تمّ النّفْخُ في هذا القول وجَعْلُه حُجّةً لِمَا ذهَبَ إليه المحدَثون من الرّأي القائل بضرورة إخراج عطف البيان من قسم العَطْفِ أو توزيعه بَيْن الأقسَامِ الأُخْرى المنْضَويّة تحت بابِ التّوابع.

وكان لعطف النّسقَ نصيبٌ ممَّا وُجِّه من انتقاداتٍ للدّرس النّحوي التراثي عمومًا؛ فقد رأوْا فيه حَجَرَ عَثْرة تَسْتوقِفُ الباحثين، وأنّ القدامى استعملوا نظريّة شوهَّتْ صورة المنظومة النّحويّة التّراثيّة، حيث يحثّ مصطفى حميدة على ضرورة "الخروج بعطف النّسق من دائرة دراسة التّوابع؛ فقد كان إدْراجُه في بَحْثها تطبيقًا آليًّا من جَانِب النّحَاة لنظريةِ العامِل التي التزموا بها منْهجًا يكشِفون به عَن أحكام الإعراب، ويُقسّمُون بمُقتضاه أبواب النّحو، وهو منْهج يقوم على المعَايير اللّغوية الشّكليّة، ويعوقُ الباحثَ عن فهم دلالات التَّراكيب" [3].

والرَّأيْ نفسه يراهُ إبراهيم مصطفى حيث يصرِّحُ " وبابُ العطْف إذًا ليس له إعرابٌ خاصٌّ، وليسَ جَديرٌ أنْ يُعدَّ من التّوابع، ولا أنْ يُفْردَ بِبَابٍ لدرسه" [4].

ومن الحُجَج التي أوردها مصطفى حميدة مدعما بها رأيه ، هي كونُ عطف النّسق يعتمد الأداة للرَّبط بيْن المتعاطِفيْن في حين تفتقرُ بقيَّةُ التَّوابع لها فيرى في هذا "أنَّ تبعيّة عطف النّسق لمتبُوعِه تقوم بواسطةٍ، هي حرْف النَّسق، في حين تبعيّةُ سائِر التّوابع بلاَ وَاسِطَة، فيما عَدَا عطف البيان بـ "أي" التفسيريّة" [5].

وأمَّا المبرّر الثَّاني الّذي أوردهُ حول تعريف القدامى للنّسق — والذي يُعدُّ في نظره نقيصةً — بحيث أنّه لم يستسغ التّعريف الذّي وسَمُوهُ بِهِ، إذْ ركَّزوا في ذلك على المعطوف كعنصر رئيس يقول: "ولذلك

---

[1] إبراهيم مُصطفى، إحياء النحو، تح: طه حسين بك، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة- مصر- ، ط2، 1922، ص 123.
[2] الرّضيّ الاستراباذي، شرح الرّضيّ على الكافية، ج4، ص 379.
[3] مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص 28.
[4] إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ص 116.
[5] مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص 38.

فتعريف المعطوف وحده لا يفصحُ عن العلاقة المعنويّة القائمة بين مكوّناتِ تركيب النّسق، ويبْدُو ذلك التعريف ساذَجًا إذَا طَمعَ أصْحَابُه في الوُصول إلى تفسير مُناسبٍ لتلك العلاقة المعنويّة" [1].

ولم يكتفِ بالحكم عليه بضرورة إخراجه من عائلة التَّوابع بل حثَّ على وجُوب تغْيير هُويّته بتغيير تعريفه حتى تُكتشف طاقاتُه المعطلَّة في نظرِه، يقول "وفي رأيي أنّ أفضَلَ فَلَكٍ ينْسَجم معَ طبيعة عطْف النّسق هو: الرّبط" [2].

أمَّا إبراهيم مصطفى فذهب بعيدًا عندما جمع حروف العطف في سَلَّة الإشراك أوْ التّشريك "فليس الأمر في العطف إتباعًا وإنَّما هوَ كمَا قال سيبويْه: إشراك أو تشريك ومَا رأيتَ في الواو العاطفة تراه في سائِرِ حروف العطف بمثْل "جاء زيد لا عَمرو"، وما جاء زيد بل عمْرو، المتحدّث عنه اسمان، أيْضًا أثْبتَ لواحدٍ ما نفيته عن الثاني "[3].

وعلى النَّقيض ممّا ذهب إليه إبراهيم مصطفى، نجد مهدي المخزومي يطالب بضرورة الفصل بين الأدوات على أساس معياري المعنى والوظيفة حيث "كان النّحاة في إقبالهم على ما للأدوات من عمل يَخلِطون أدوات من طائفتين مختلفتين، ويجمعونها على صَعيد واحد كجمعهم (بل) مثلا بواو العطف مع أنّهما مختلفان معنى ووظيفة "[4].

وأما عِفَّت الشّرقاوي فلم يجدْ هو الآخر من نقيصة في أعمال القدامى غير تسميتهم لتركيب العطف بتلك التّسمية مفضّلا تسميّات أخرى، حيث يُلمِّح إلى ذلك بالقول: "وذلك على الرُّغم من أنّ دلالة التّعاطف اللغوية فيها من التّعبير عن التّراسل البنائي لسياق المتعاطفات ما يزيد على فكرة التشريك التي وقفوا عندها والتفتوا إليها دون غيرها" [5].

ولم يكتف النّحاة المحدثُون بتلك الانتقادات الشّكلية فقط، وإنّما تعدّوا ذلك إلى انتقاد المعنى الذّي تحمله الأدوات؛ حيث يرون أن المعنى الذّي وضعه القدامى ليس صحيحا، وفي هذا الصّدد يعتبر مصطفى حميدة "أنّ المعنى الوظيفي لـ" بل" هو الإضراب عمّا قبلها، ليس تقنينا دقيقا بهذا المعنى، وإنّما

---

[1] مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص 27.

[2] المرجع نفسه، ص 30.

[3] إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ص 116.

[4] مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرّائد العربي-بيروت- لبنان، ط2، 1986، ص 232.

[5] عفّت الشرقاوي، بلاغة العطف في القرآن الكريم، ص 142.

تقتضي الدّقة أن يقال: إنّ معناها الوظيفي، هو الإضراب عمّا قبلها وإثبات ما بعدها على سبيل اليقين والتّحقيق" [1].وانتقاده هذا لم يأت فيه بالجديد.

والدّليل على ذلك ما ردَّ به عزّ الدّين مجذوب بشأن انتقادات القدامى للدّرس النّحوي بقوله: "إذ لم تزد اجتهاداتهم على إخراج أقسام فرعيّة من قسم إلى قسم أو تنزيلها القسم القائم برأسه" [2].

وكثيرا ما نجد المحدثين أنفسهم غير متّفقين في انتقاداتهم للقدامى؛ بل تراهم يستعينون بآرائهم في إقامة الحجّة على مُخالفيهم؛ فها هو مصطفى حميدة يردُّ مباشرة على مهدي المخزومي بسبب اعتباره "حتّى "ليست عاطفة فيقول: "ولو أنّه أخذ برأي سيبويه وجمهور البصريّين القائل بأنّ "حتّى" للتّشريك بمنزلة الواو والفاء وثمّ لوجده موافقا لنظريّته " [3].

وما نخلص إليه أنّ النحاة المحدثين وعموم المفكرين المهتمين بطرائق التّعليم عندما عجزوا عن إيجاد نقائص- وهم يتتبّعون زلاّت القدامى- في المدوّنة النّحوية التّراثية؛ راحوا يصطنعون نقائص شكلية ويقترحون بدائل لا تفيد الدّرس النّحوي الحديث في شيء، وإنّما أتوا ببدائل لا تعْدو أن تكون مجرّد إعادة توزيع لأقسام بابٍ من أبواب النّحو، على أبوابٍ أخرى قريبة منها أو الإبقاء على بعضها وتوزيع الباقي كما حصل من اقتراحات بشأن باب التّوابع الّذي يتضمّن قسم العطف، بل إنّ فعلهم هذا قد يجرّ الدّرس النّحوي إلى ما وقع فيه الدّرس اللّساني من فوضى التّعدد في المصطلح؛ ويبدو تأثرهم بالدّرس النّحوي الغربي جليّا، من خلال عناوين مؤلفاتهم الموسومة بالإحياء والعصرنة والنّقد والتّوجيه وما إلى ذلك؛ حيث أرادوا إسقاط تلك المستجدّات في باب النّحو على الدّرس النّحوي العربي دون مراعاة لخصوصيات اللّغة العربية.

والأخطر من هذا أنّ البعض منهم تحامل على النّحاة القدامى ووصفهم بالسّذاجة، في الوقت الذي نجد فيه أحدهم – إذا عجز عن مواجهة خصمه يتقوى عليه بالعودة إلى المنجزات النّحوية للقدامى مُستعملا إيّاها كسلاح فعّال.

وعموما فإنّ هذه الدّعوات المبطنّة المتخفيَّة تحت شعار إصلاح التّعليم العربي في جانبه النّحوي بسبب صعوبة التّطبيق الذّي ترتّب عنه اللّحن المهول الذّي مسّ ألسنة الطّلاب على جميع المستويات ما

[1] مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم، 284.

[2] عز الدّين مجذوب، المنوال النحوي العربي، ص 245.

[3] مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم، ص 36.

هي إلا مبرّرات واهيّة وإذا كان الأمر كذلك "أمكننا القول بصفة عامّة بأنّ النّظرية النّحوية القديمة كانت ناجحة على المستوى التّعليمي، فلم تشْكُ الأجيال في العصور القديمة من النّحو نضير ما تشكوه في عصرنا، ولم تفْشُ ظاهرة الضّعف بينهم كما هو حالنا اليوم ويمكن القول باختصار أنّ النّحو القديم حقّق غاياته وأهدافه علميّا وتعليميّا" (1).

فمن خلال هذا القول نستنتج أنّ العيب ليس في النّظرية النّحوية القديمة، بل في الظّروف المصاحبة لتطبيقاتها والتّي تتغيّر باستمرار؛ لذلك فإنّه "عندما نتحدّث عن بعض الصّعوبات والسّلبيات في تعليم النّحو العربي فلا بدّ أن نتحدّث عنها انطلاقا من عصرنا لأنّ العيب ليس في النّظرية النّحوية القديمة وإنّما العيب فينا نحن المعاصرين، أبناء القرن الحادي والعشرين، الذين مازلنا نبني إصلاحاتنا على نظريّة قديمة، تغيّرت كليّةً الظّروفُ العلمية والتّربوية المصاحبة لها" (2).

وليست الظّروف وحدها هي التّي ساهمت في عدم استيعاب قواعد النحو وكذا عدم القدرة على توظيفها في الواقع؛ حيث كان الهدف في غالب الأحيان هو التّركيز على التّلقين دون الممارسة، بحيث "مازلنا إلى اليوم نعلّم النّحو العربي وكأنّنا نروم تكوين مفسّرين أو كتّاب أو متخصّصين في النّحو بدون مراعاة لروح العصر التّي عرفت انفجارات معرفيّة في جميع المجالات، أصبحت فيه الأمور السّابقة وغيرها تخصّصات تضاف إلى التخصّصات العلميّة والتّقنية التي لا حصر لها" (3).

وهذا الخلل الحاصل كان ابن خلدون قد أدركه منذ زمن بعيد وحذّر منه حيث يرى أنّ "كثيرا من جهابذة النّحاة، والمهرة في صناعة العربيّة، المحيطين علما بتلك القوانين، إذا سُئل في كتابَة سطرين إلى أخيه أو ذي مودّتِه أو شكوى ظُلامةٍ أو قصدٍ من قُصودِه، أخطأ فيها الصّواب وأكثر من اللّحْن" (4).

ولم يكتف بوضع يده على مكمن الدّاء بل وصف لذلك حلاّ؛ يتمثل في وجوب اكتساب الملكة اللّغوية، وتكون "بكثرة الحفظ من كلام العرب، حتّى يُرتسمَ في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبهم

(1) يحي بعيطش، تعليمية النحو العربي بيْن القديم والحديث "دراسة تقويمية بالطريقة القديمة وبعض المقاربات الحديثة"، مجلة المربى، المركز الوطني للوثائق التربوية، د.ط، عدد 19، 2003 م، ص74.

(2) المرجع نفسه، ص 74.

(3) المرجع نفسه، ص 75.

(4) ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، اعتناء: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرّسالة ناشرون- بيروت- لبنان، ط1، 2015م، ص 628.

فينسج هو عليه ويتنزّل منزلة من نشأ معهم وخالط عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له الملكة المستقرّة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم" [1].

فابن خلدون من خلال هذا القول يدعو إلى كثرة الممارسة والتّطبيق دون المبالغة في التّركيز على الجانب التّقعيدي مشبّها العملية بما هو عليه الحل عند أصحاب الحِرَفِ ؛ حيث ينجح الحرفيّ المطبّق لما تعلّمه نظريًّا، في حين يفْشل الثّاني في تجسيد مهاراته النّظرية إذا طُلب منه ترجمتها في الواقع.

فكأنّ ابن خلدون سبق زمانه في الدّعوة إلى ما يعرف اليوم في عالم التّعليم بطريقة المقاربة بالكفاءات التّي تسعى إلى اكساب المتعلّمين مهارات لغوية تؤهّلهم لأن يوظّفوها في حياتهم حتّى تصير عادة لديهم؛ وبذلك يكون النّحو وسيلة لدى المتعلّم لا غاية، "نحوا مهاريّا، يُتوسّل به إلى قدرات تبليغيّة لدى المتعلّمين بحيث ينمّي ويطوّر خطاب الطّالب وتعبيره، من أجل إكسابه ملكة الإدراك والفهم والتّحليل والتّعليل والتّعبير الدّقيق" [2].

ومنه فإنّ دعوات تيسير النّحو لا مبرّر لها عمومًا ؟ بل إنّ أصحابها يضمرون أهدافا هدّامة، فما هي إلاّ أصوات تطالب جهارًا بتبنّي اللّهجات العربيّة كبديل للّغة العربيّة الفصحى وهنا يكمن الخطر.

لكنّ هذه الدّعوات سيكون مآلها المصير نفسه الذي لقيته ثورة ابن مضّاء الأندلسي على نظريّة العامل.

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص 629.

(2) يحيى بعيطش، تعليمية النحو العربي بيْن القديم والحديث، ص 79.

الفصـــــل الثالـــث

دراسة معاني حروف العطف
– سورة البقرة نموذجا–

المبحث الأول: حروف العطف في سورة البقرة– جرد وقراءة–

المطلب الأوّل: جرد لحروف العطف الواردة في سورة البقرة

المطلب الثاني: قراءة للجدول

المبحث الثاني: دراسة تحليلية لنماذج من سورة البقرة

النموذج الأول: الآية 177

النموذج الثاني: الآيتان 259– 260

النموذج الثالث: الآية 282

النموذج الرّابع: الآية 140.

النموذج الخامس: الآيتان (116–154)

سورة البقرة ثاني سور القرآن الكريم بعد الفاتحة، وهي أطول سورة، مكوّنة من جزأين ونصف تقريبا من الأجزاء الثّلاثين، وآياتها مائتان وستّ وثمانونَ(286)، وهي من السُّور المدنيّة– سميّت السُّورة الكريمة ب "البقرة" إحياء لذكرى تلك المعجزة الباهرة التي ظهرت في زمن موسى الكليم.

تعدُّ البقرة من السّور الطّوال التي تعنى بالجانب التّشريعي شأنها شأن سائر السُّور المدنية التّي تعالج النّظم والقوانين الشرعية التي يحتاج إليها المسلمون في حياتهم الاجتماعيّة، يقول محمد الطاهر بن عاشور: "هذه السُّورة مترامية أطرافها، وأساليبها ذات أفنان، قد جمعت من وشائج أغراض السُّور ما كان مصداقا لتلقيبها فُسطاط القرآن. فلا تستطيع إحصاء محتوياتها بحسبان [...] وقد حيكت بنسج المناسبات والاعتبارات البلاغية من لُحمة مُحكمة في نظم الكلام وسدًى متين من فصاحة الكلمات"[1].

لهذه السّورة فضل عظيم، قال عنها الرّسول– صلى الله عليه وسلم–: "لكلّ شيء سنام وإن سنام القرآن البقرة، وفيها آية هي سيدة آي القرآن: آية الكرسي"[2]، وقوله صلى الله عليه وسلم أيضا: "البقرة سنام القرآن وذروته نزل مع كلّ آية منها ثمانون ملكا(80) واستخرجت (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) من تحت العرش فوُصلت بها أو تُوُصِّلت بسورة البقرة"[3].

---

(1) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر–تونس، د.ط، د.ت، ج1، ص 203.

(2) ابن كثير أبو الفدا اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، 1997، ج1، ص 149.

(3) المرجع نفسه، ص 149.

المبحث الأول: حروف العطف في سورة البقرة– جرد وقراءة–

المطلب الأوّل: جرد لحروف العطف الواردة في سورة البقرة

من خلال تصفُّح آي سورة البقرة وبعد القيام بعملية إحصاء لحروف العطف التي وردت فيها، والممثلة في الواو، والفاء، و"ثم" و"أو" و"أم"، و"بل"، تبين أن عدد التّكرارات تختلف من حرف إلى آخر ويمكن إدراكه من خلال الجدول الإحصائي والدائرة النسبيَّة والأعمدة البيانية:

الجدول (01): جدول إحصائي لحروف العطف في سورة "البقرة"

الحروف	عدد التكرارات	النسبة
الواو	634	%78
الفاء	114	%14
ثم	27	%3
أو	27	%3
أم	06	%01
بل	07	%01
المجموع	**815**	**%100**

الشكل (01): دائرة نسبية تمثل تكرار حروف العطف في سورة "البقرة"

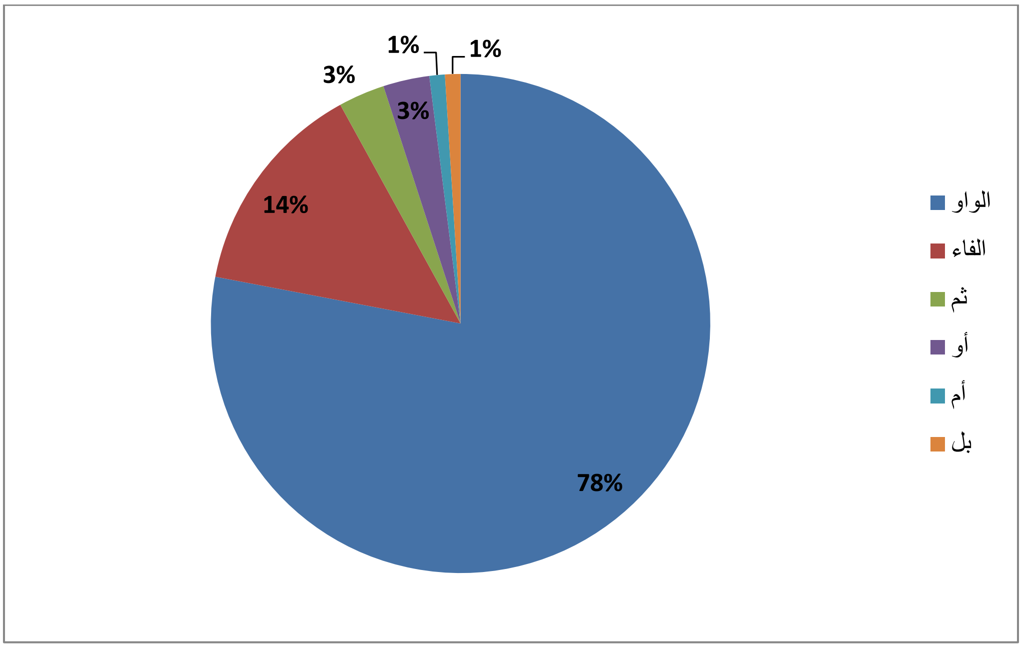

الشكل (02): أعمدة بيانية تمثل تكرار حروف العطف في سورة "البقرة"

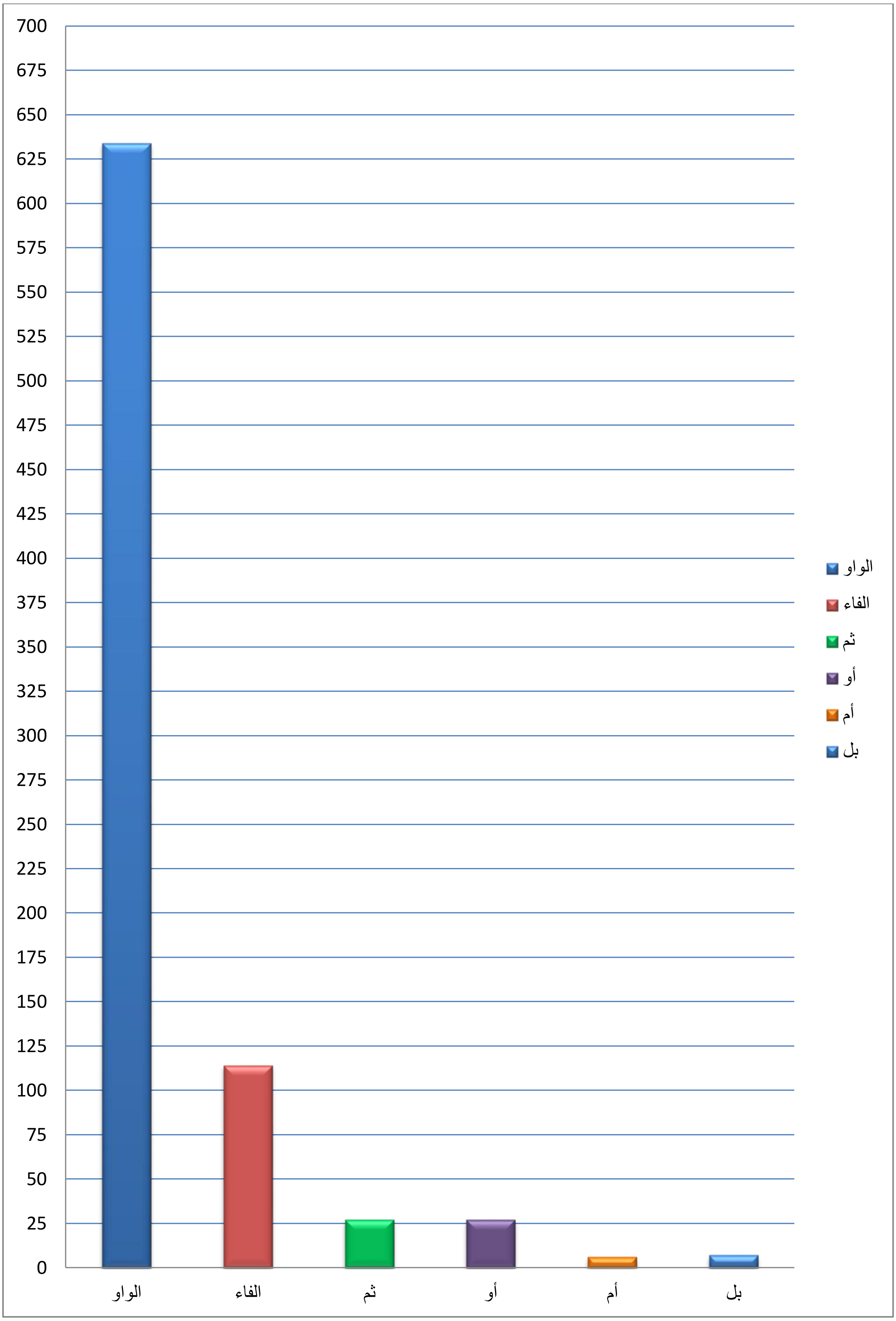

المطلب الثاني: قراءة للجدول

إن المتأمّل للجدول والدائرة النسبيَّة والأعمدة البيانية، يُمكنه أن يدرك بسهولة أن الواو هو الحرف الطّاغي من حيث عدد التّكرارات: بحيث يكاد يسيطر على الحيّز الذّي شملته الحروف العاطفة في سورة البقرة، وهذا ما يؤكّد قول النّحاة فيه– كما أشرنا سابقا– من كونه أُمُّ باب حروف العطف، والذّي جعله يوظَّف بهذا الكمِّ الهائل هو طبيعة الأحداث الواردة في هذه السُّورة، ممثلة في قصة سيّدنا موسى– عليه السّلام– مع قومه إضافة إلى مختلف الإرشادات الربّانية التّي جاءت السّورة حافلةً بها؛ بحيث لم يجد القرآن الكريم من الحروف ما هو أهل للجمع بين مفردات وجمل هذه السّورة غير هذا الحرف الذي بلغ عدد تكراراته ستّ مائة وستّ وثلاثين(636)* بنسبة ثمان وسبعين(78%) ثم تلاه حرف الفاء مكررا مائة وأربع عشرة مرة، بنسبة أربع عشرة بالمائة(14%)؛ فإذا كان الواو قد وُظّف عندما كانت الأحداث في السّورة لا تتطلب غير مجرد الجمع حسَب رأي أغلب النّحاة، فإن الفاء جاءت لتأديّة معنى آخر لا يقوى الواو على تأديّته ، وهو التّعبير عن توالي الأحداث وتعاقبها، الأمر الذّي يتطلب السّرعة في التّنفيذ.

بعدها جاء الحرف "ثمّ" في الرّتبة الثّالثة بما مجموعه سبعة وعشرون(27) تكرارا أي بنسبة ثلاث بالمائة(03%) للتَّعبير عن الأحداث والمواقف التي تتطلبُ ترتيبا وتراخيا.

لكن عندما كانت الأحداث تستدعي الإشارة إلى اختيارات وبدائل بعينها؛ كان الحرف "أو" الأنسب لتأدية معانيها فتكرر سبعا وعشرين مرة(27)، بنسبة ثلاثة بالمائة(03%) هي الأخرى، في حين لما كان الحدث يتطلَّب اتخاذ موقف معين جيء "بأم" وكانت تكراراتها الحاصلة ستة(06)، وهي قليلة مقارنة "بأو"، حيث بلغت نسبتها واحدا بالمائة(01%)، والنسبة نفسها حصلت مع "بل" حين وظفت لتجاوز الغلط ونقل المعنى إلى ما بعدها.

وأما الحرفان المتبقيّان: "لكن" و"لا" فلم يردا عاطفين لعدم توفُّر شروط العطف فيهما طبقا لما تقتضيه القاعدة، وفي غالب الأحيان كانت الواو تختطف منهما هذه الوظيفة بسبب اجتماعها بهما؛ ذلك أنّ النّحاة يرون أنّه متى اجتمع حرف من حروف العطف مع الواو، فالواو هي العاطفة به.

* علما أنّ الواو وردت استئنافية أو عاطفة في أربعة عشر مرصعا لم يتم احتسابها سبب اختلاف النّحاة في إعرابها.

وإذا قدّمنا قراءة ثانيّة للجدول والدّائرة النسبيّة والأعمدة البيانيّة على أساس التّشريك من عدمه، فإنّنا نجد أنّ الحروف المشرّكة لفظا ومعنى والّتي لا يوجد خلاف بين النّحاة بشأن وظيفتها، والمتمثّلة في الواو، والفاء وثمّ قد سيطرت –تقريبا– على الحيّز برمّته، فبلغت نسبتها خمسًا وتسعين بالمائة (95%) دون الأخذ برأي الفريق الذّي يرى بأنّ "أو" و"أم" تفيدان التشريك لفظا ومعنى.

وإذا تأمّلنا تراتبية حروف العطف التي ذكرها النُّحاة القدامى في مؤلفاتهم، نستنتج أنّ ذلك لم يأت عشوائيا، وإنّما كان الأمر مقصودًا، وقد تجلّى ذلك من خلال ما جاء في سورة البقرة، فالنّسب الواردة توضّح ذلك.

المبحث الثاني: دراسة تحليلية لنماذج من سورة البقرة

النموذج الأول: الآية 177

جاءت حروف العطف في سورة البقرة في شكلٍ مرتّبٍ ومتسلسلٍ ضمَّت الحروف الستة الأولى حسب التّرتيب الذي أورده النّحاة القدامى، وإذا كان الواو هو الحرف الطّاغي في سورة البقرة– كما ذكرنا– فإنَّ الآية مائة وسبعا وسبعين (177) خير دليل على ذلك.

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[1].

والمتمعّن في هذه الآية يلحظ أنّ الواو قد شمل الحيّز لوحده دونما تواجد للحُروف العاطفة الأخرى؛ فقد بلغت تكراراته تسع عشرة(19) مرة والسّرّ راجع إلى أنّ المقام يقتضي ذلك؛ حيث أنّ الظّروف الملابسة لنزول هذه الآية، وهي رغبة القرآن الكريم في تبليغ قواعد إسلامية للمسلم وتصحيح بعض التصورات العقائدية المشوَّشة وكذا الرّد على افتراءات اليَهود.

وقد كان العنوان الرّئيس الذي تدور حوله هذه الآية هو "البرّ". إذ جاء سياقها لتصحيح مفهومه عند كثيرٍ من النّاس؛ فتطلَّب الأمر اللُّجوء إلى حرف الواو للجمع بين طرق البرّ وتعديدها، فتارة تمَّ عطف المفردات على المفردات نحو: "المشرق والمغرب، الملائكة والكتاب والنبيين"؛ حيث شرّكت الواو بين المتعاطفات في اللفظ (الإعراب)، وهو الجرّ، وفي المعنى(الحكم) المتمثل في نفي اعتقاد حصول البر مقترنا بوجهتي المشرق والمغرب، وتارة تمَّ عطف الجمل على الجملِ نحو: "أقام الصلاة وآتى الزكاة"، حيت شرّكت الجملتين الفعليتين في اللفظ، من خلال ورود فعليهما متحدين في الزمان الماضي، كما شركتهما في المعنى المتمثل في فِعْلي إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة.

---

[1] سورة البقرة، الآية 117.

ولم يكتف الواو بتأدية دور الجمع فقط، بل أفاد معنى الترتيب، كما هو واضح في الجملتين السّابقيتين، بحيث أنّ فعل الصّلاة يكون أوّلا ثم يليه فعل الزّكاة، لأنّه لا يمكن الإخلال بترتيب أركان الإسلام، وقد تجلّت في هذه الآية إحدى أحكام الواو وهي عطف العام على الخاص، نحو: "أولئك الّذين صدقوا وأولئك هم المتقون" حيث تمّ عطف التّقوى وهي الأشمل على الصّدق الّذي هو جزء منها.

وهكذا يكون الواو هو الحرف الأنسب للربط بين النّصوص الّتي تضمّ أحداثا ومواقف متنوّعة بحيث يساهم في استطالة النّص من دون خلل فيه ولو حدث ذلك مع حرف آخر غير الواو لفسد المعنى وانعدمت الدّقة.

النموذج الثاني: الآيتان 259– 260

تعدّدت أدوات الرّبط في القرآن الكريم؛ ولم تنحصر في حرف الواو فقط، فهما الآيتان مائتان وتسعٌ وخمسون(259)، ومائتان وستون (260)، تضمّنان حروفا أخرى إضافة إلى الواو؛ كالفاء، و"ثم" وهي حروف مشرّكة لفظا ومعنى زيادة على احتوائهما على: "أو" و"بل" و"لكن".

قال تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259)، وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(260)﴾[1].

فالمتأمّل لِسياقِ الآيتين، والذي يتحدّث فيه القرآن عن قصّة ذلك الرّجل الّذي تحدّى نبي الله إبراهيم في الخَلْق، وكذا طلب سيدنا إبراهيم من ربّه أن يطمئنه بواسطة معجزة البعث تحدّيّا للشخص المكابر ورغبة منه في الاطمئنان النفسي؛ فهذه المواقف المتعدّدة والمتباينة جعلت التعبير عنها يستدعي تنوّعا في أدوات الرّبط، فكان أوّل حرف عاطف هوّ "أو" الّذي أفاد الربط فيما يراد سرده من أحداثٍ لاحقة على ما ذُكر من أحداث سابقة، على طريقة التخيير في التمثيل بين الواقعتين.

[1] سورة البقرة، الآية 259، 260.

ولما كان ذلك الشّخص المكابر يتحدّى اللّه بِشأن إمكانيّة إعمار القرية الميّتة، كان ردّ الفعل من اللّه سريعا، فكان أنسبُ حرف يؤدّي ذلك المعنى هو حرف الفاء في قوله: "فأماته اللّه مائة عام"، لأنّ الفاء تفيد التّرتيب مع السّرعة في التّنفيذ؛ وأنّ الأمر لا يستدعي التّأجيل؛

ومادامت فترة تغييب الرّجل عن الحياة طويلة كان لابدّ من استحضار حرف العطف "ثمّ" للتّعبير عن ذلك لأنّ السّياق يتطلب ترتيبا وتراخيًا وهوّ أنّ البعث كان بعد الإماتة، والتّراخي تمثّل في فترة قرن من الزّمن وبما أنّ التّحدّي كان ناجحا فإن الرّجل اعتقد أنّ مدّة التّغييب قصيرة والدّليل إجابته:" يوما أو بعض يوم".

وللتّعبير عن تذبذُب الرّجل في إجابته وعدمِ الثّقة في ما ذهب إليه أورد القرآن الكريم حرف العطف "أو" الّذي أفاد الشّك هذه المرّة من خلال عطف الجزء على الكلّ نحو: "يوما أو بعض يوم".

وورود "أو" بهذا المعنى في هاتين الآيتين لا ينفي ورودها في مواضع أخرى بمعان أخر كالتّخيير أو التفصيل وغيرهما.

وتصحيحاً للغلط التّقديري في الزّمن الّذي وقع فيه الرّجل استعمل القرآن الكريم الحرف "بل" لتدارك الخطأ، في قوله تعالى: "بل لبثت مئة عام"، حيث عطفت "بل" المعطوف– الجملة– على المعطوف عليه الموجب، وشرّكتهما في اللفظ فقط، ولا يمكن استبدال "بل" بحروف عاطفة أخرى كـ: " لكن" القريبة منها في المعنى لأنّ الشّروط[1] في هذا الحرف الأخير غير متوفّرة.

وبعد تجلّت قدرة اللّه تعالى لدى الرّجل المكابر، استأنف القرآن الكريم تعديدَ المعجزات باستعمال "فاء" الاستئناف؛ ونظرا لتنوّع مواضيع البراهين اللاّحقة وظّف القرآن الكريم حرف الواو للجمع بين موضوعات الاختبار سواء بعطف المفرد على المفرد نحو: "طعامك وشرابك"، مشرّكا إياهما في اللفظ والمعنى، أو بعطف الجمل الطلبية على نفسها لضرورة بلاغية، وهي توكيد وتقوية معنى المعطوف الأول نحو: "انظر إلى طعامك وشرابك، انظر إلى حمارك... وانظر إلى العظام..."، دون تغيير في لفظة فعل الأمر(انظر) المكرّر الّذي يوحي بالقدرة على التّحدّي، كما يوحي إلى المخاطَب بضرورة الاستعداد الحسّي والمعنوي لما سيشاهده، فمثّل الواو معنى الجمع خير تمثيلٍ.

وبعد المعجزات الباهرة الّتي شاهدها المخاطَب، جاءت المعجزة الكبرى المتمثّلة في البعث من خلال عرض لمراحل إعادة تشكيل تلك المخلوقات.

(1) ينظر: هذا البحث، ص38.

ومادام الأمر يتطلّب مدّة زمنيّة، فإنّ القرآن الكريم عدل عن توظيف الواو للوصل بين تلك المراحل ولجأ إلى "ثم" الّتي تحمل معنى التَّرتيب والتّراخي والمهلة نحو: "وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثمّ نكسوها لحما"، فعمليّة نشز العظام وكسْوها باللّحم تتطلّب ترتيبا ووقتا؛ حيث أنَّ نشز العظام لا يكون إلاّ بعد خلقها؛ والكسو لا يكون إلّا بعد النّشز، وهكذا أفادت معنى الترتيب إضافة إلى معنيي التراخي والمهلة، كما شرّكت بين المتعاطفين في اللفظ (المضارع المرفوع)، وفي المعنى (طول الفترة الزمنية الحاصلة بين فعلي النشز والكسو)، وعليه فإنّ "ثمّ" أفادت ترتيبا وتراخيا وهو الأنسب لهذه الأحداث.

وفي السّياق نفسه وظّف القرآن الكريم هذا الحرف وهو يعرض مراحل الخلق من خلال إعادة بعث مجموعة من الطّير بقوله: "فخذ أربعة من الطّير فصرْهنّ إليك ثمّ اجعل على كل جبلٍ منهنّ جزءا ثمّ ادعوهنّ يأتينّك سعيا..."، يقول ابن كثير في مختصره: «... فلمّا أوثقهنّ ذبحهنّ ثمّ جعل على كلّ جبل منهنّ جزءا، فذكروا أنّه عمد إلى أربعة من الطّير فذبحهنّ ثم قطعهنّ ونتف ريشهنّ ومزّقهنّ وخلط بعضهنّ ببعض ثمّ جزّأهنّ أجزاء وجعل على كل جبل منهنّ جزءا ثمّ أمره الله عز وجلّ أن يدعوهنّ فدعاهنّ كما أمره اللّه عزّ وجلّ فجعل ينظر إلى الرّيش يطير إلى الرّيش، والدّم إلى الدّم واللّحم إلى اللّحم، والأجزاء من كل طائر يتّصل إلى بعض حتّى قام كلّ طائر على حِدَتِه وأتينه يمشين سعيًا ليكون أبلغ له في الرّوعة التي سألها»[1].

وجاء هذا استجابة لرغبة سيّدنا إبراهيم وهو يلحّ في الأمر بقوله: «رب أرني كيف تحيي الموتى» ولما كان الأمر يتطلّب السّرعة في الاستجابة وظّف القرآن الكريم حرف الفاء بالقول: فصرهنّ، أي: فأوثقهنّ.

أمّا "لكن" فقد جاءت مفيدةً للاستدراك وذلك لاقترانها بالواو وعدم استيفائها لبقيّة الشروط[2].

النموذج الثالث: الآية 282

هذه الآية هي أطول آي القرآن الكريم، وقد جاءت لتنظيم التعاملات بين النّاس خاصة المؤجّل منها وذلك تجنّبًا لما قد يحصل مستقبلاً من سوء تفاهمٍ ونزاع، وهذا يدخل في باب سدّ الذرائع، من خلال ضبط شروط تلك التّعاملات.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن

(1) ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، ج1، ص 236.
(2) ينظر: هذا البحث، ص 38.

كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تَسْأَمُوْاْ أَن تَكْتُبُوْهُ صَغِيرًا أَو كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ وَأَقْومُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

ونظرا للإجراءات المعقّدة الّتي تتطلّبها عمليّة الاكتتاب، وكذا تنوّعها وتعدّد الأطراف المتواجدة فيها، والشُّروط الموضوعة لإحكام بنودها، استدعى الأمر التّنويع في أدوات الرّبط تماشيّا مع السّياق، فقد جاءت الواو عاطفة جامعةً بين المعطوفات، مشركة بينها في اللفظ والمعنى، خاصّة تلك الّتي وردت في مجملها جملا طلبيّة مصدّرة بلام الأمر، لأنّ المُقام يقتضي تنفيد أفعال مُلْزِمة مثبتة تارة ومنفيّة تارة أخرى، نحو: "وليكتب بينكم...، ولا يأبَ كاتب... وليمْلِل الّذي ... وليتّقِ اللّه ربّه...."

أمّا لما كانت الشُّروط تتضمّن احتمالات متعدّدة كان الحرف الأنسب للتّعبير عن ذلك هو "أو" الذّي أفاد معنى التفصيل، نحو: "سفيهًا أو ضعيفًا، وصغيرًا أو كبيرًا".

ولما كان الأمر يستدعي السّرعة في تدوين بنود الاكتتاب وما قد يصاحب العمليَّة من مستجدّاتٍ واستثناءات طارئة، فقد وظّف القرآن الكريم حرف الفاء، فمن أمثلة ضرورة الإسراع في التّدوين قوله: "فليكتب" ومن أمثلة توقُّع حدوث الحالات الطارئة قوله: "فإن كان الّذي عليه"، "فإن لم يكونا...، فتذكّر إحداهما الاخرى"، وفي حالة الاستثناءات قوله: "فليس عليكم جناح"، وهذه كلّها حالات يمكن أن تحدث فجأة، بحيث تفسد مجريات الاكتتَاب؛ لكن القرآن الكريم استشرفها فوضع لها حلولا وهذا عنصر ضروري يرُكّز عليه في إبرام الاتفاقيات والمعاهدات وبالتالي حصول طمأنينة نفسيَّة لدى جميع الأطراف.

النموذج الرّابع: الآية 140.

كان السّبب في اختيار هذه الآية بعينها تضمّنها لحرفي العطف "أم" و"أو"، كون الكثير لا يفرّق بينهما من حيث المعنى؛ وقد نزلت هذه الآية ناهيةً نبيّ اللّه محمدا – صلى الله عليه وسلم- عن مجادلة أهل الكتاب بشأن

[1] سورة البقرة، الآية 282.

الرّبوبيّة والألوهيّة، قال تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

وكتعبير من القرآن الكريم عن المواضيع الّتي تمت المجادلة بشأنها، استعمل القرآن الكريم حرف العطف"أم" – المنقطعة– في صيغة استفهام واقعة بين جملتين مستقلتين في المعنى، حيث جاءت بمعنى الإضراب، أي: بمعنى بل تقولون، ومنه فإن "أم" في هذا السياق قد جاءت مشرّكة في اللفظ دون المعنى، وهذا ما ذهب إليه بعض القدامى وبعض المحدثين؛ يقول محمّد الطّاهر بن عاشور في "تفسير التّحرير والتّنوير "بشأن "أم" في هذه الآية «أم منقطعة بمعنى بل وهي إضراب للانتقال من غرض إلى غرض وفيها تقدير استفهام وهو استفهام للتّوبيخ والإنكار على اليهوديّة أو النّصرانيّة»[2].ويلاحظ أنّ المعنى الّذي أفادته متعلّق بما بعدها كما ذهب إليه النحاة، في حين جاءت "أم" متصلة مفيدة التعيين بعد استفهام انكاري في قوله تعالى: "أأنتم أعلم أم الله"، وهي بذلك مشركة للمعطوفين لفظا (الرفع)،ومعنى(العلم).

ولماّ أراد القرآن التّعبير عن مدى شكّ أهل الكتاب بشأن انتماء أبناء إبراهيم العقائدي بقوله: "كونوا هودًا أو نصارى" وُظّف الحرف "أو" لإفادة هذا المعنى، ونلحظ أن "أو" وردت مشركة لفظا(النصب)، ومعنى(الكينونة).

ولما أُريدَ التّعيين كذلك في قوله: "أأنتم أعلم أم اللّه". استخدمت "أم" بعد حصول الشّك، وقد ساعد دخول همزة الاستفهام عليها في إفادة هذا المعنى؛ ومنه يمكن إدراك الفارق في المعنيين بين "أو" و"أم"، بل بين "أم" المتصلة و"أم" المنفصلة.

و أمّا الواو الموظّفة للجمع بين أنبياء اللّه تعالى وهم: إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، فقد أفادت التّرتيب، والدّليل على ذلك قرينة تاريخية؛ حيث أنّ النّبوّة كانت لإبراهيم أوّلا ثمّ لإسماعيل ومن بعدها إسحاق ويعقوب والأسباط على التّرتيب.

و من هنا يتبيّن صحة قول النّحاة أنّه لا مانع من إفادتها الترتيب وغيره. [3]

النموذج الخامس: الآيتان (116–154)

لقد تواجد حرف العطف "بل" في سورة البقرة بنسبةٍ ضئيلةٍ لم تتجاوز واحدا بالمائة(01%)؛ ونظرا للتّقارب الحاصل بينه وبين "لكن" في المعنى والّذي أدّى إلى الخلط بينهما، اختيرت هاتان الآيتان كنموذج تحليلي.

---

[1] سورة البقرة، الآية 140.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص 747.

[3] ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص 559.

والآية مائة وستّ عشرة(116) نزلت كردّ فعل من اللّه –عزّ وجلّ ـعلى أهل الكتاب وحتّى مشركي العرب في قولهم: إنّ للّه ولدا.قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾[1].

فإذا كانت "بل" تفيد الإضراب عن الأول وإبطاله وإثبات الثاني – وهذا ما حصل في الآية الكريمة– حيث إذا تمّ الاكتفاء بالكلام الموجب في قوله تعالى: "اتخذ اللّه ولدا، سبحانه" ؛ فإنّ المعنى جاء ناقصا فاسدًا مفتقرًا إلى ما بعده، حينها أُتِيَ ب: "بل" لتدارك الغلط؛ وبذكر الجزء الثاني من الآية نَقلت "بل" الحكم من الأوّل إلى الثّاني فأثبتته، حينها صار الأوّل مسكوتا عنه، فاستقام المعنى؛ وهي بذلك أدت وظيفة التشريك في اللفظ دون المعنى.

أمّا الآية مائة وأربع وخمسون(154) فنزلت في الشّهداء مبيّنة المكانة الّتي هم عليها في البرزخ عند اللّه تعالى، حيث قال: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾[2].

ولما كان المسلمون يجهلون المآل الّذي انتهى إليه الشُّهداء بالاعتقاد أنّهم أموات، نهاهم عن ذلك بقوله: "ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل اللّه أموات"، ولما أتْبَع العبارة المسبوقة بنهي بـ "بل" توقّع السّامع حينها كلاما بديلاً، فلمّا ذكر كلمة: "أحياء" تمّ الإضراب عن الكلام الأوّل" الشّهداء أموات"، والإتيان بنقيضه "الشُّهداء أحياء"، فالمخاطَب منهيّ عن الاعتقاد بأنّ الشهداء أموات، ومأمور بالتّصديق بأنّ الشّهداء أحياء، وهي في هذه الحالة الّتي ورد فيها ما قبلها نهي، جاءت معادلة لمعنى "لكن" كما ذهب إليه فريق من النحاة[3] أي: لكن "أحياء عند ربّهم". أمّا "لكن" في قوله: "ولكن لا تشعرون" ، فقد فقدت وظيفة العطف بسبب اقترانها بالواو الّذي أفاد العطف بواسطتها ، وقد سبقت الإشارة إلى أن حرف العطف إذا اقترن بالواو فالواو هي العاطفة دونه[4].

والذي نستخلصه من هذه الدّراسة التّحليلية والإحصائية أنّ القرآن الكريم وظف حروف العطف توظيفات في غاية الدّقة، فقد جاءت مفردات وجمل آيِ سورة البقرة؛ مترابطة ومتّصلة فيما بينها، فورد كلّ حرف في موضعه المناسب له، مؤدّيا المعنى الخاصّ به في أسلوب متسّق ومنسجم.

---

(1) سورة البقرة الآية 116.

(2) سورة البقرة الآية 154 .

(3) ينظر: هذا البحث، ص 38.

(4) ينظر: هذا البحث، ص 15.

ولقد تنوّعت الحروف العاطفة في سورة البقرة، وجاء الواو مسيطرًا حيث بلغت نسبته فيها ثمانٍ وسبعين بالمائة(78%)، وكان معظم الرّبط بين آي البقرة بهذا الحرف؛ والّذي كان جامعا مشرّكا بينها في اللّفظ والمعنى بالإضافة إلى إفادتها معنى التّرتيب أحيانا وهذا كلّه لمراعاة صحة الدلالة أولا وجماليّة السيّاق ثانيا.

أمّا الفاء فقد جاءت في الدّرجة الثانية بنسبة أربع عشرة بالمائة(14%) والّتي أفادت التّرتيب مع التّعقيب خاصّة في مواضع الأحداث والمواقف الّتي استدعت أن تكون الفاء الأداة المناسبة والرّابطة بينها. كما كان لـ: "ثمّ" الدّور نفسه في الوصل بين مفردات الآيات وجملها، والّتي وظّفت للتّعبير عن الزّمن الطّويل مع التّراخي والمهلة. وذلك لما يقتضيه السّياق، وقد جاءت نسبتها قليلة مقارنة مع الحرفين السّابقين، حيث بلغت ثلاثا بالمائة(03%)، وعندما أريد إظهار الشكّ أو التّعيين كان الرّبط بين آي الذّكر الحكيم بحرف العطف "أو " الّذي كانت نسبته مساويةً لنسبة "ثم"، فقد كان اختيار هذا الحرف مناسبا وملائما مع للظروف الملابسة له. ممّا يزيد من قوّة الوصل والتّلاؤم بين المتعاطفين.

وكذلك بالنّسبة لـ: "أم" الّتي كانت نسبتها في العطف بين المفردات والجمل ضئيلة، حيث بلغت واحدا بالمائة(1%)، فالعطف بها قليل، أما "بل" فقد جاءت نسبتها ضئيلة هي الأخرى شأنها شأن "أم"، لكنّها رغم ذلك ساهمت في اتّساق عناصر النّص القرآني وتلاحمه.

أمّا حروف العطف الأخرى المتبقيّة فلم يكن لها تواجد بين آي سورة البقرة باستثناء "لكن" الّتي لم تتوفّر فيها شروط العطف.

والذّي نلاحظه أنّ القرآن الكريم كان له قدرة هائلة في كيفيّة استعمال حروف العطف للرّبط بين كلماته وجمله؛ فتارة يوظّف حرفا ويعدل تارة أخرى عنه، وهنا تتجلّى قدرة الخالق– سبحانه– في بسط معانيه الجليلة، وصياغة غاية في الإحكام والإعجاز.

خاتمة

خاتـمة:

وأخيرا، ها نحن ننتهي إلى ما كنا نبتغيه من أمل في إنجاز هذا البحث وإتمامه وإخراجه، محاولين في ذلك –قدر المستطاع- التقيد بأبجديات البحث العلمي؛ وقد اتّضح لدينا أنّ باب العطف باب متشعّب يتّسم بالدّقة، والدّارس ينبغي عليه أن يكون ملمّا بعلم النّحو والبلاغة عارفا بمواطن الخلاف بين المدارس النّحويّة حتّى يخلص إلى رأيٍ سديد قائم على الحجّة، في توضيح ما يذهب إليه ، ومنه نخلص إلى أنّ:

1- النّحاة القدامى كان اهتمامهم بالدّرس النّحوي عظيما، حيث لم يكتفوا بالتّقعيد له، بل نظّموه من خلال توزيع مادّته على أبواب وأقسام وفهارس، تسهيلا للحفظ فقد دوّنوا قواعده على شكل منظومات شعرية.

2- المصطلحات النّحويّة الخاصّة بالدّرس النّحوي تمَّ وضعها واصطلاحها بعد الاستعانة بالألفاظ اللغوية المتداولَة الّتي تخدم هذا المعنى.

3- الدّرس النّحوي لم يتمّ تناوله من طرف النّحاة فحسب بل اهتمّ به اللّغويون والأصوليون كما تقاطعت كثير من مواضيعه مع الدّرس البلاغي.

4- الاختلاف بين النّحاة بشأن مصطلحات(تسميات) الحرف والعطف والدّلالة هي اختلافات بسيطة شكليّة لا تضرّ الدّرس النّحوي في شيء.

5- النّحاة القدامى وإن اختلفوا حول عدد حروف العطف ومعانيها غير أنّهم اتّفقوا حول الحروف الأكثر شيوعا، المشرّكة لفظا ومعنى وهي: الواو والفاء و" ثمّ"، و "حتّى"، هذا إذا أضفنا إليها "أو " و "أم"، التيّ ذهب فريق من النّحاة إلى اعتبارها مثل الأربعة الأولى.

6- ما جاء به بعض المحدثين بشأن إعادة النّظر في موضوع العطف بخاصّة والدّرس النّحوي التّراثي بعامّة ما هو إلا اجترار لما ذهب إليه القدامى، لكن بطريقة أخرى لم تُغيّر من الأمر شيئا، وأنّ انتقاداتهم ودعواتهم لا يُطْمَأَّن إليها.

7- الاختلافات بين النّحاة – إن قديما أو حديثا- بقدر ما أظهرت تعدد آرائهم إلى السّطح بقدر ما نشّطت الدّرس النّحوي ولا تزال.

8- حروف العطف لها دور هام في سبك أجزاء النّصوص واتساقها وتلاحمها؛ فانعدامها يجعل النصوص هيكلا بلا روح، لكن ذلك لا يمنع من أن يُحذف الحرف إذا كان السّياق مناسبًا للمعنى المتوخَى منه بل إنّ هذا الحذف في بعض الأحيان يعطي النّص جماليّة في الأسلوب وهذا داخل في باب الإعجاز.

9- الأخطاء الشّائعة بشأن درس العطف لم يكن مردّها إلى صُعوبة الدّرس النّحوي بحد ذاته، بل مردّها إلى الطّريقة العقيمة في تلقينه.

10- درس العطف يتميّز بالدّقة والتّشعّب في مواضيعه الأمر الّذي جعله يوسَم بالصّعوبة.

11- المدرسة الكوفيّة كانت صائبةً في الكثير ممّا ذهبت إليه من آراء في مسائل نحويّة عكس ما يشاع عنها من أنّها ما وُجدت إلاّ لتُعَارض المدرسة البصريّة.

12- مجيئ ترتيب حروف العطف عند القدامى على الصورة المتداولة في مصنفاتهم لم يكن اعتباطا، وإنما كان عن فهم ودراية منهم بأحقية كل في الاستعمال، على الرغم من عدم إشارتهم إلى ذلك، وما يؤيّده ورود ترتيبها باعتبار عدد تكراراتها في سورة البقرة موافقا لما ذهب إليه القدامى، حيث جاء الواو أوّلا، بعده الفاء ثانيّا تتبعها ثمّ ثالثا، بعدها جاءت على التّوالي: "أم"، "أو"، "بل".

13-الدّرس اللّساني الحديث أفاد الدّرس النّحوي العربي بما توصّل إليه من نتائج وخاصة فيما تعلّق بالسّيّاق.

14- الحروف العاطفة هيّ أساس وجوهر الرّبط والاتساق بين عناصر الجملة العربيّة، حيث تُضفي مزيدا من الانسجام بين معانيها.

15 – القرآن الكريم يبقى المصدر الأساس الذي يُرجَع إليه في الدّراسات النّحويّة قديما وحديثا وسيبقى المَعين الذّي لا ينضّب.

هذا ما خلصنا إليه من نتائج، فإن أصبنا فبتوفيق من الله، وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
2. الأصفهاني أبو الحسن علي بن الحسين الباقولي، شرح اللّمع، تح: إبراهيم بن محمد أبو عيادة، إدارة الثقافة والنشر-جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-الرياض- المملكة العربية السعودية، د.ط، 1990.
3. ابن الأنْباري أبو البركات ، أسرار العربية، تح: محمد بهجت البيطار، مطبوعات المجمْع العلمي العربي – دمشق – سوريا، د.ط، د.ت.
4. ابن الأنباري أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تح: جودت مبروك، مكتبة الخانجي-القاهرة-مصر، ط1، د.ت.
5. الأندلسي أبو حيّان، ارتشاف الضّرب من لسان العرب، تح: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي- القاهرة- مصر،ط1، 1998م.
6. الأنصاري ابن هشام ، شرح قطر النّدى وبلّ الصّدى، تح: محمد خير طعمة حلبي، دار المعرفة- بيروت- لبنان، د.ط، د.ت.
7. البُصرويّ علاء الدّين، شرح قواعد البُصروية في النّحو، تح: علاّم عمر الشّعراوي، دار البشير – عمّان – الأردن، ط1، 2000م.
8. بعيطش يحي ، تعليمية النحو العربي بيْن القديم والحديث "دراسة تقويمية بالطريقة القديمة وبعض المقاربات الحديثة"، مجلة المربى، المركز الوطني للوثائق التربوية، د. ط، عدد 19، 2003 م.
9. بن البشير محمد ، علم أصول الفقه الإسلامي وعلم اللغة العربية بين الترابط والتكامل، مجلة الآداب واللغات، جامعة الأغواط، الجزائر، ع2، جوان 2004 م.
10. بن عاشور محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر-تونس، د.ط، د.ت.
11. بوكاي، موريس القرآن الكريم والتورات والإنجيل والعلم، دراسة للكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، مكتبة مديولي- القاهرة-مصر، ط1، 1996م.
12. البيتوشي عبد الله الكردي، كفاية المعاني في حروف المعاني، دار اقرأ للطباعة والنشر والتوزيع-دمشق- سورية، ط1، 2005م.
13. التميمي صبيح ، هداية السّالك إلى ألفية ابن مالك، مُراجعة: فاتح زقلام ونوري شرينةٌ، إدارة المطبوعات والنشر، جامعة الفاتح- طرابلس-ليبيا، ط1، 1988م.
14. التّهانَوي محمد بن علي، كشّاف اصطلاحات الفنون، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط1، 1998م.

15. الجرجاني عبد القاهر، المقتصد في شرح الإيضاح، تح: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر، د.ط، 1982م.
16. الجرجاني علي الشّريف، التّعريفات، مكتبة لبنان -بيروت-لبنان، د.ط، 1978م.
17. ابن جنّي أبو الفتح، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، د.ط، 1955.
18. ابن جنّي أبو الفتح، سرّ صناعة الإعراب، تح: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، د.ط، 2012م.
19. ابن حزم أبو محمد الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام، تح: أحمد محمد شاكر، د.ط، د.ت.
20. حسن عبّاس ، النّحو الوافي، دار المعارف-القاهرة- مصر، د.ط، د.ت.
21. حميدة مصطفى ، أساليب العطف في القرآن الكريم، الشركة العالمية للنشر لونجمان، ط1، 1999م.
22. ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، اعتناء: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرّسالة ناشرون-بيروت- لبنان، ط1، 2015م.
23. ديزيرة سقّال، القطوف الدّواني في المفردات والعبارات والمعاني، دار الفكر العربي للطباعة والنّشر-بيروت-لبنان، ط1، 1997.
24. الرازي فخر الدين عبد القادر، مختار الصحاح، تح: حمزة فتح الله، مؤسسة الرسالة –بيروت-لبنان،ط3، 2009م.
25. الزَّجَّاجي أبو القاسم عبد الرّحمن، الإيضاح في علل النحو، تحق :مازن مبارك، دار النّفائس–بيروت-ط3، 1979.
26. الزّمخشري محمود بن عمر، الكشّاف، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض وفتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان- الرياض-المملكة العربية السعودية، ط1، 1998.
27. الزّمخشري محمود بن عمر، أساس البلاغة، تح: عبد الرحيم محمود، درا المعرفة- بيروت - لبنان، د.ط، د.ت.
28. الزّمخشري، محمود بن عمر المفصّل في علم العربية، دار الجيل –بيروت- لبنان، ط2، د.ت.
29. أبو زيد عصام عبد المنصف ، فاعلية المعنى النّحوي في بناء الشعر، دراسة نَصّية في التوابع، دار غريب-القاهرة- مصر، د.ط، 2010.
30. السّامرّائي فاضل صالح ، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – عمّان-الأردن، ط1، 2000م.
31. السهيلي أبو القاسم، نتائج الفكر في النحو، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار كتب العلمية –بيروت- لبنان، ط1، 1992م.

32. سيبويه أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة- مصر، ط3، 1988م.

33. السّيد صبري إبراهيم: لغة القرآن الكريم في سورة النور، دراسة في التّركيب النّحوي، ، دار المعارف الجامعية- الإسكندرية- مصر، د.ط، 1994م

34. السّيوطي جلال الدين، الأشباه والنظائر، تح: محمد فاضلي، دار الأبحاث للتّرجمة والنّشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007 م.

35. ابن الشجري بن محمد العلوي، أمالي ابن الشّجري، تح: محمود محمد الطّناحي مكتبة الخانجي-القاهرة- مصر، د. ط، د.ت.

36. الشجيري هادي أحمد فرحان، الدراسات اللغوية والنحوية في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية، دار البشائر -بيروت-لبنان، ط1، 2001م.

37. الشّرقاوي عفّت ، بلاغة العطف في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية، دار النّهضة العربية للطباعة والنّشر- بيروت-لبنان، د. ط، 1981م.

38. عائشة بنت مرزوق اللّهيبي، التأويل النّحوي في كتب إعراب الحديث النبوي، جامعة أم القرى-الرياض- المملكة العربية السعودية، د.ط، 1432هـ.

39. عبد الحميد محمد محي الدّين: التُّحفة السّنِيّة بشرح المقدمة الآجَرُّومية، المكتبة العصرية-بيروت- لبنان، د.ط، 2002م.

40. عبد اللطيف محمد حماسة ، النّحو والدّلالة مدخل لدراسة المعنى النّحوي الدلالي، دار الشروق-القاهرة- مصر، ط1، 2000 م.

41. ابن عصفور علي بن مؤمن، المقرّب، تح: أحمد عبد الستار الجبوري، ط1 ، 1972م.

42. ابن عقيل بهاء الدين عبد الله العقيلي، شرح ابن عقيل، تح: حنّا الفاخوري، دار الجيل -بيروت- لبنان-، د.ط، د.ت.

43. العُكبريّ أبو البقاء، اللُّباب في علل البناء والإعراب، تح: غازي مختار طليمات، دار الفكر-دمشق- سورية، ط1، 1995.

44. العلوي يحيى بن حمزة ، الطّراز، تح: عبد الحميد هنْداوي، المكتبة العصريّة -بيروت - لبنان، ط1، 2002م.

45. العيني، حاشية الصّبّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تح: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوقيفيّة، د.ط، د.ت.

46. الغلاييني مصطفى، جامع الدروس العربية، تح: عبد الله المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان، د.ط، 1944م.
47. الفاخري صالح سليم عبد القادر، الدّلالة الصّوتية في اللغة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية – القاهرة – مصر، ط1، 2007م.
48. ابن فارس أبو الحسن بن زكريا، مُعجم مقايس اللّغة، تح: عبد السّلام هارون، دار الفكر، د.ط، 1979م.
49. ابن فارس، الصّاحبي في فقه اللّغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان، 1997 م.
50. الفراهيدي الخليل بن أحمد ، المنظومة النّحوية ، تح: أحمد عفيفي، مطبعة دار الكتب المصرية-القاهرة- مصر، د.ط، 1995م.
51. الفيروزآبادي، مجد الدّين محمد يعقوب، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية-بيروت- لبنان، د.ط،1871م.
52. ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، 1997.
53. المالقي أحمد بن عبد النور، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تح: محمد أحمد الخرّاط، مطبوعات مجمع اللغة العربية – دمشق- سوريا، د. ط، د.ت.
54. مالك الأندلسي، شرح التسهيل، تح: عبد الرحمن السيد وآخرون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان-القاهرة- مصر، ط1، 1990.
55. المبرّد أبو العبّاس ، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة- القاهرة- مصر، ط3، 1994.
56. مبروك زيد الخير، حروف المعاني وأثرها في الفقه وأصوله (حروف العطف نموذجا)، مجلة الآداب واللّغات، جامعة الأغواط، الجزائر، 2004، ع02، جوان 2004.
57. مجذوب عز الدّين ، المنوال النّحوي العربي "قراءة لسانية جديدة"، دار محمد علي الحاجي، تونس، ط1، 1998.
58. المخزومي مهدي ، في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرّائد العربي-بيروت- لبنان، ط2، 1986.
59. المرادي الحسن بن قاسم، الجنَى الدّاني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط1، د، ت.
60. مصطفى إبراهيم ، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، مجمع اللغة العربية، ، المعجم الوسيط، دار الدعوة، الشروق الدولية- القاهرة- مصر، ط4، 2004م.

61. مصطفى إبراهيم ، إحياء النحو، تح: طه حسين بك، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة- مصر- ، ط2، 1922.
62. ابن منظور محمد الإفريقي، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هشام محمد الشاذلي، دار المعارف-القاهرة- مصر، د.ط، د.ت.
63. ياقوت محمود سليمان ، التوابع في النّحو العربي، كلية الآداب، جامعة طنْطا- الاسكندرية- مصر، د.ط، 2005-2006 م.
64. Joseph .Hajjar, traite de traduction "دراسة في أصول الترجمة" , Dar El Machrek, Bayrout, Libon, 3eme edition, 1980.

فهرس المحتويات

الصفحة	العنـــوان
أ	مقدمة
	الفصل الأول: الحرف والعطف والدّلالة
3	**المبحث الأوّل: تعريف الحرف والعطف والدّلالة**
3	المطلب الأول: الحرف، لغة واصطلاحًا
3	1- الحرف لغة
4	2- الحرف اصطلاحًا
5	المطلب الثاني: العطف، لغةً واصطلاحًا
5	1- العطف لغة
6	2- العطف اصطلاحًا
8	المطلب الثالث: الدّلالة لغة واصطلاحًا:
8	1- الدّلالة لغة
8	2- الدّلالة اصطلاحا
10	**المبحث الثاني: حروف العطف أقسامها وأحكامها**
10	المطلب الأوّل: حروف العطف المفيدة للتشّريك وأحكامها
10	1- أحكام الواو
11	2- أحكام الفاء
11	3- أحكام " ثمّ"
12	4- أحكام "حتى"
12	المطلب الثاني: حروف العطف المفيدة للتشريك أو التفريق وأحكامها
12	1- أحكام" أم" المتّصلة والمنفَصِلة
12	2- أحكام" أو"
13	3-أحكام" بل"
	الفصل الثاني: معاني حروف العطف
15	**المبحث الأوّل: معاني حروف العطف من حيث التشريك والتفريق ومواضعُ حذفها**
15	المطلب الأوّل: حروف العطف المشركة لفظًا ومعنى

1- الواو	15
2- الفاء	20
3- ثم	22
4- حتى	25
المطلب الثاني: الحروف المشرّكة لفظا لا معنى	33
1- بل	33
2- لا	35
3-لكن	37
المطلب الثالث: حذف بعض حروف العطف	39
المبحث الثاني: استعمالات حروف العطف بين الصّواب والخطأ	42
المطلب الأول: الأخطاء الشائعة في استعمالاتها	42
المطلب الثاني: نظرة المحدثين إلى موضوع العطف	46
الفصل الثالث: دراسة معاني حروف العطف - سورة البقرة نموذجا-	
المبحث الأول: حروف العطف في سورة البقرة- جرد وقراءة-	54
المطلب الأوّل: جرد لحروف العطف الواردة في سورة البقرة	54
المطلب الثاني: قراءة للجدول	56
المبحث الثاني: دراسة تحليلية لنماذج من سورة البقرة	58
النموذج الأول: الآية 177	58
النموذج الثاني: الآيتان 259- 260	59
النموذج الثالث: الآية 282	61
النموذج الرّابع: الآية 140.	62
النموذج الخامس: الآيتان (116-154)	63
خاتمة	66
قائمة المصادر والمراجع	69
فهرس المحتويات	75